فتن الشبهات في السنة النبوية

إعداد

الدكتور محمد عبد الرزاق أسود

أستاذ السنة النبوية وعلومها المشارك

في قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب

بجامعة الدمام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي يسر لنا الأسباب المانعة من الضلال والافتتان، وبيّن لنا الأسباب التي نتحصن بها أعظم بيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم المنان، أحمده على السرّاء والضرّاء؛ والعافية والبلاء؛ حمداً طيباً مباركاً فيه كما هو أهله؛ وصلى الله على سيّدنا محمد المصطفى خير الأنام؛ خاتم رسله وخيرته من خلقه، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة مستمرة باستمرار الزمان؛ وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فقد ظهر في وقتنا وفشا في زماننا من الفتن وتغيُّر الأحوال؛ وفساد الدين واختلاف القلوب؛ وإحياء البدع وإماتة السنن؛ ما دل على انقراض الدنيا وزوالها؛ ومجيء الساعة واقترابها؛ إذ كل ما قد تواتر من ذلك وتتابع وانتشر؛ أعلمنا به نبينا ﷺ وخوفناه؛ وسمعه منه صحابته ﷺ؛ وأداه عنهم التابعون رحمهم الله تعالى؛ ونقله أئمتنا إلينا عن أسلافهم؛ ورووه لنا عن عدولهم.

وقد رأيت أنه من المهم في هذا العصر أن أجمع في هذا البحث السنن الواردة في الفتن، وخاصة فتن الشبهات؛ وسميته:" فتن الشبهات في السنة النبوية"، لكي يأخذ الناس وصايا النبي ﷺ كوقاية وحل لما دهمهم من الشبهات، ووقع بهم من التباس في الدنيا والدين؛ وهذا يقود إلى ضعف الإيمان؛ وقصر الهمم عن التقوى والصلاح، وحصرها في الدنيا وملذاتها وشهواتها.

ومع أن موضوع الفتن قد أخذ حيزاً كبيراً في المكتبة الإسلامية؛ إلا أنه لا زال بحاجة إلى بحث وعناية، وذلك بسبب كثرة الشبهات، ولقد أورد دعاة الفتن في كل زمان شبهاً كثيرة؛ مما يتطلب تحذير المسلمين منها؛ حتى لا يقعوا فيها.

– أهمية البحث: تتبين في الأمور الآتية:

١ – حرص النبي ﷺ على تحذير أمته من الفتن عامة، والشبهات الواردة فيها خاصة؛ دليل على أهمية هذا الموضوع وجلل خطره.

٢- الاستفادة من فقه فتن الشبهات في السنة النبوية، وفهم الأحاديث النبوية المتصلة بها، ومعرفة مدلولاتها.

٣- إن ظهور بعض الفتن في كل عصر ومصر؛ يجعل دراستها في ضوء السنة النبوية أمراً بالغ الأهمية.

- أسباب اختيار البحث: تظهر في الأمور الآتية:

١- تكوين صورة واضحة عن فتن الشبهات، ومعرفتها عند حدوثها للحذر منها.

٢- معرفة الفتن التي تكتنف عالمنا المعاصر من خلال شبهاتها في ضوء السنة النبوية.

٣- التنبيه للاستعداد ليوم الرحيل بالعمل الصالح؛ لأن ظهور الفتن علامة من علامات الساعة.

- مشكلة البحث: تكمن في الآتي:

١- تبيين فتن الشبهات الواردة في الأحاديث النبوية.

٢- معرفة حكم وأقوال علماء الحديث المتقدمين والمتأخرين في أحاديث فتن الشبهات ومعانيها.

٣- الدروس والعظات المستخلصة من أحاديث فتن الشبهات.

- أهداف البحث: أهمها ما يلي:

١- تأصيل مصطلحات البحث الأساسية.

٢- تبصير المسلمين بفتن الشبهات، حتى يعرفونها بمجرد وقوعها.

٣- توضيح المسلمين بالمخرج من فتن الشبهات، حتى يحذروها قبل وقوعها؛ فضلاً عن وقوعها.

- الدرسات السابقة: بعد الاطلاع والبحث لم أجد أحداً قد أفرد دراسة مستقلة في هذا الموضوع، وإنما وجدته متناثراً في بطون الكتب، فأردت أن أجمعه في موضوع واحد ليسهل الرجوع إليه.

– حدود البحث: تكمن في دراسة لكل الأحاديث النبوية الصحيحة أو الحسنة، واستبعاد الضعيفة المتفق على ضعفها، وتخريجها من كتب رواية الحديث النبوي المعتمدة؛ كالكتب التسعة مثلاً، ونحوها، والتي تمت بصلة في موضوع فتن الشبهات، ويلحق بها أقوال الصحابة رضي الله عنهم، وأقوال التابعين رحمهم الله تعالى، فيما إذا كان ذلك مما له حكم المرفوع، أو له صلة في معاني تلك الأحاديث.

– منهج البحث: فيتلخص في اتباع المنهج الاستقرائي التحليلي، وأما إجراءاته: فتتلخص في الآتي:

١– اعتماد الأحاديث الصحيحة أو الحسنة، وترك الضعيف المتفق على ضعفه.

٢– تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها الأصيلة، فما وجدته في الصحيحين اكتفيت بهما، فإن لم أجدها فيهما، انتقلت إلى كتب السنن، كالسنن الأربعة، ثم المسانيد، ثم الموطآت، والمصنفات، والمستدركات، والمعاجم، ونحوها.

٣– الحكم على الأحاديث في غير الصحيحين من خلال أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين.

٤– شرح الكلمات الغريبة في الأحاديث من كتب غريب الحديث.

٥– تتبع أقوال علماء الحديث المتقدمين والمتأخرين في دلالات الأحاديث ومعانيها من كتب شروح الحديث.

– خطة البحث : يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، وتوصيات، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة : وفيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومشكلته، وأهدافه، والدرسات السابقة، وحدوده، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث:(الفتنة، الشبهة، السنة)، في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي.

المبحث الأول : فتنة الابتداع والهوى في السنة النبوية.

المبحث الثاني : فتنة التفرق والاختلاف المذموم في السنة النبوية.

المبحث الثالث : فتنة تسلط الكافرين على المسلمين في السنة النبوية.

المبحث الرابع : فتنة تفوق الكافرين في أمور الدنيا في السنة النبوية.

المبحث الخامس: فتنة موالاة الكافرين في السنة النبوية.

المبحث السادس: فتنة الضرّاء في السنة النبوية.

المبحث السابع: فتنة السّراء في السنة النبوية.

الخاتمة: وتتضمّن أهم النتائج والتّوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

ختاماً أقول: اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل، واهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

المدينة المنورة : ٣/رجب/١٤٣٦هـ- ٢٢/ ٤ / ٢٠١٥م

الدكتور

محمد بن عبد الرزاق أسود[1]

(١) للتواصل: جوال ٠٠٩٦٦٥٩٨٣٥٠٠٦٩، تليفاكس ٠٠٩٦٦٣٨٤٤٦٣٥٥/ البريد الالكتروني: muhammadaswad@hotmail.com

تمهيد

التعريف بمصطلحات البحث:(الفتنة، الشبهة، السنة)

المطلب الأول

تعريف الفتنة في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي

أولاً: تعريف الفتنة في اللغة العربية: الفتنة في اللسان العربي تطلق ويراد بها عدد من المعاني، منها ما يأتي:

١- الابتلاء والامتحان، تقول: فتنت فلاناً: إذا ابتليت صدقه وأمانته.

٢- اختلاف الناس بالآراء، فإن هذا الاختلاف قد يكون سبباً في الفتنة، ولا سيما إذا كان منشأ ذلك الاختلاف التشهي والهوى، وليس البحث عن الحق والهدى.

٣- الإضلال، وذلك أن الإنسان إذا امتلأ قلبه بالشبهة والشهوة فُتِن بهما؛ حتى يضل فيقع في الإثم العظيم من حيث يشعر أو لا يشعر، وهذه أهم المعاني التي فسّر بها العرب الفتنة؛ إلا أن جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار[١].

ثانياً: تعريف الفتنة في الاصطلاح الشرعي: الفتنة شرعاً لا تخرج بحال عن المعنى اللغوي الجامع[٢]، وذلك أن المعاني المذكورة يمكن إدراجها في هذا المعنى الجامع، فاختلاف الناس بالآراء هو ابتلاء لهم، ليعلم متبع الحق من متبع الباطل، والضلال ابتلاء لمن أوقع نفسه في أسبابه حتى يجني ما اكتسبته يداه[٣].

---

(١) لسان العرب: ابن منظور: مادة فتن،معجم مقاييس اللغة: ابن فارس:مادة فتن،المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون:مادة فتن.

(٢) الموسوعة الفقهية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت: ١٨/٣٢.

(٣) الفتن وموقف المسلم منها: رؤية شرعية تأصيلية: د.علي الضويحي: ٩- ١١، أحداث وأحاديث فتنة الهرج: دراسة لفتنة القتال (الهرج) في تاريخ المسلمين: د.عبد العزيز دخان: ٤١- ٤٥.

١- ويمكن تعريفها بأنها:" ما يصيب المسلم من خير أو شر في دينه أو دنياه"[١]، وبناء على هذا التعريف الشرعي، فإن الفتنة كما تكون بالشر تكون بالخير أيضاً، بل ربما تكون الفتنة بالخير أشد من الفتنة بالشر، ويؤيد ذلك ما أخبرنا به الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ﷺ حين قال:" ابتلينا مع رسول الله ﷺ بالضرّاء؛ فصبرنا، ثم ابتلينا بالسرّاء بعده فلم نصبر"[٢].

ومن هنا فإن الله تعالى جعل ما ينعم به على عباده من نعمة الأموال والأولاد والزوجات فتنة، كما دل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٣]، وكما دل على ذلك أيضاً قوله جل شأنه:﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٤]، ومما يدل على أن الفتنة في العرف الشرعي هي الإصابة بالشر والخير قول الحق تبارك وتعالى:﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٥].

حيث جعل المولى سبحانه الابتلاء بالشر والخير هو الفتنة بعينها، وعلى ذلك فالتطابق بين التعريف اللغوي والتعريف الشرعي للفتنة ظاهر بيّن، فكلاهما يدور في فلك الابتلاء والاختبار[٦].

وقد ورد في الحديث النبوي بأن الفتنة هي بمعنى الاختبار والامتحان بالدنيا عامة: بما فيها من شهوات وشبهات، وقد ورد فيها هذه الأحاديث:

- روى مصعب رحمه الله تعالى قال: كان سعد ﷺ يأمر بخمس ويذكرهن عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بهن:" اللهم إني أعوذ بك من البخل؛ وأعوذ بك من الجبن؛

---

(١) الفتن وموقف المسلم منها: رؤية شرعية تأصيلية: د.علي الضويحي: ٣٣- ٣٤.

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب (٣٠)، (الحديث: ٢٤٦٤): ٤/٦٤٢، وقال:" هذا حديث حسن"، قال الألباني:" صحيح الإسناد"، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٢/٥٩٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٨.

(٤) سورة التغابن، الآية: ١٥.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٣/٧٧٧، الاستذكار: ابن عبد البر: ١/٥٣٣، فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٢/٨.

وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر؛ وأعوذ بك من فتنة الدنيا – يعني فتنة الدجال – وأعوذ بك من عذاب القبر"[١].

– عن عمرو بن ميمون الأودي رحمه الله تعالى قال: كان سعد ﷺ يعلم بنيه هؤلاء الكلمات؛ كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة؛ ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر الصلاة:" اللهم إني أعوذ بك من الجبن؛ وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر؛ وأعوذ بك من فتنة الدنيا؛ وأعوذ بك من عذاب القبر، فحدثت به مصعباً فصدَّقه"[٢]، وفتنة الدنيا أن يبيع الآخرة بما يتعجله في الدنيا من حال أو مال[٣].

٢– وتأتي الفتنة بمعنى الفرقة والاختلاف: كما روى عرفجة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إنه ستكون هنات وهنات[٤]، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً ما كان[٥]"[٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، (الحديث: ٦٠٠٤): ٥/٢٣٤١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن، (الحديث: ٢٦٦٧): ٣/١٠٣٨.

(٣) شرح صحيح البخاري: ابن بطال: ٥/٣٥.

(٤) الهنات: جمع هنة وتطلق على كل شيء، والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٢/٢٤١-٢٤٢.

(٥) يدل الحديث على الأمر بقتال من خرج على الإمام؛ أو أراد تفريق كلمة المسلمين، ونحو ذلك؛ وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل؛ وإن لم يندفع شره إلا بقتله قتل، وقوله: فاقتلوه؛ معناه إذا لم يندفع إلا بذلك، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٢/٢٤١-٢٤٢.

(٦) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، (الحديث: ١٨٥٢): ٣/١٤٧٩.

٣- وتأتي الفتنة أيضاً بمعنى الوساوس: كما في حديث عمر ﷺ قال:" كان النبي ﷺ يتعوذ من خمس: من الجبن، والبخل، وسوء العمر، وفتنة الصدر[١]، وعذاب القبر"[٢]، [٣].

(١) فتنة الصدر: ما يعرض فيه من الشكوك والوساوس، انظر: جامع الأصول: ابن الأثير: ٣٦٢/٤.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، (الحديث: ١٥٣٩): ٤٨١/١، واللفظ له، وقال الألباني: "ضعيف"، انظر: ضعيف سنن أبي داود: ١١٦/١، ورواه النسائي في سننه عن عمر ﷺ في كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من فتنة الصدر، (الحديث: ٥٤٤٣): ٢٥٥/٨، قال الألباني: "صحيح "، انظر: صحيح سنن النسائي: ٤٥٨/١، وكذلك في باب الاستعاذة من البخل، وهو مروي عن ابن مسعود ﷺ، (الحديث: ٥٤٤٦): ٢٥٦/٨، قال الألباني: "ضعيف "، انظر: ضعيف سنن النسائي: ١٨١/١، ورواه ابن حبان في صحيحه عن عمر ﷺ في كتاب الرقائق، باب الأدعية، (الحديث: ١٠٢٤): ٣٠٠/٣، قال الأرناؤوط في هامشه: " إسناده صحيح على شرط مسلم"، والروايات الضعيفة بشواهدها الصحيحة ترتقي إلى الصحيح لغيره.

(٣) أُنظر للتوسع: فقه التعامل مع الفتن: زين العابدين الغامدي: ٢٦- ٣٠.

المطلب الثاني

تعريف الشبهة في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي

أولاً: تعريف الشبهة في اللغة العربية: الشبهة في اللسان العربي تطلق ويراد بها عدد من المعاني، منها ما يأتي:

١- الالتباس، تقول: أمور مشتبهة ومشبهة أي مشكلة يشبه بعضها بعض، وشُبِّهَ عليه الأَمْرُ تَشْبيهاً: لُبِّسَ عليه.

٢- الاختلاط، شبه عليه: خلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره، وتقول: شبهت علي يا فلان؛ إذا خلط عليك، واشتبه الأمر إذا اختلط.

٣- الحيرة، يقال: رجل مشدوه، أي متحير، وشُدِهَ الرجلُ شَدَهاً وشُدْهاً، أي تَحَيَّر[١].

ثانياً: تعريف الشبهة في الاصطلاح الشرعي:

١- الشبهة:" هي الشكوك التي توقع في اشتباه الحق بالباطل؛ فيتولد عنها الحيرة والريبة"[٢].

٢- وقال بعضهم:" الشبهة: مشابهة الحق للباطل، والباطل للحق من وجه؛ إذا حقق النظر فيه ذهب"[٣].

٣- وقيل: إن الشبهة:" ما التبسن أمره، فلا يدري أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل"[٤].

٤- وتأتي الشبهة أيضاً بمعنى مشكلات: فالشبهات من الأمور المشكلات؛ وذلك لما فيه من شبيه طرفين متخالفين فيشبه مرة هذا ومرة هذا[٥]، والفتنة إذا أقبلت شبهت على القوم، وأرتهم أنهم على الحق؛ حتى يدخلوا فيها ويركبوا

---

(١) لسان العرب: ابن منظور: مادة شبه، القاموس المحيط: الفيروزآبادي: مادة شبه، المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون:مادة شبهة.

(٢) مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية: ٣/٤٨٧.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي: ٢٠١.

(٤) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: سعدي أبو جيب: ١٨٩.

(٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض اليحصبي: ٢/٢٤٣.

منها ما لا يجوز، فإذا أدبرت وانقضت بان أمرها، فعلم من دخل فيها أنه كان على الخطأ[١].

وتنتج فتن الشبهات من فساد القوة العلمية لدى المسلم، والتي بها يبصر مسالك الطريق، فيقع في الضلال؛ لأن القوة العلمية هي كنور عظيم بيد الإنسان يمشي به في الليلة الظلماء، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بحديث عائشة رضي الله عنها:" والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى"[٢]، فعنده ﷺ تمام القوة العلمية.

وتنتج فتن الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم، وهي تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع.

وقد حذر الله تعالى عباده من فتن الشبهات بقوله:﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٣]، والخوض عادة يكون في الباطل، وهو الشبهات، وهو ناجم عن البدع والأهواء، ولهذا كان بعض السلف يقول:" احذروا من صاحب هوى قد فتنه هواه، ومن فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهم فتنة لكل مفتون"، وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، وفتن الشبهات تدفع باليقين، كما قال الله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٤]،[٥].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٢/٤٤٢ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، (الحديث: ١١١٠): ٢/٧٨١ .

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٩.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٥) الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم: ٣٩- ٤١، ٧٩، الفقه في الدين عصمة من الفتن: صالح الفوزان: ١٦.

وبعض الباحثين أطلق على هذه الفتن؛ بأنها فتن معنوية فكرية للتضليل والتشكيك في الدين، ولا مشاحة في الاصطلاحات؛ لأن المؤدى واحد، فهذا التضليل والتشكيك ناتج عن الشبهات المثارة حول الإسلام[١]، في حين أطلق عليها البعض الآخر من العلماء؛ بأنها فتنة خاصة، تقع على الإنسان في خاصة نفسه[٢].

وفتنة الدين أشد أنواع الفتن؛ وواجب المسلم فيها أن يبحث عن الجماعة المؤمنة، ويعطيها صادق الانتماء، ولو تمثلت في عالم عامل بسنة رسول الله ﷺ؛ وكانت الجماعة هي السواد الأعظم من الناس على غير ذلك[٣].

---

(١) القتال في الفتنة: دراسة تأصيلية عقدية: عبد الله السويد: ٣٢.

(٢) الفتنة وموقف المسلم منها: د.محمد العقيل: ٢٧- ٣٢.

(٣) فتنة التفرق والأهواء وموقف المسلم منها في ضوء السنة النبوية الشريفة: د. همام سعيد: ٣٨، ٤٣.

المطلب الثالث

تعريف السنة في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي

أولاً: تعريف السنة في اللغة العربية: السنة في اللسان العربي تطلق ويراد بها عدد من المعاني، منها ما يأتي:

١- ما يدل على الصقالة والملامسة، ومن ذلك إطلاقها على الوجه أو دائرته، أو صورته، فالمسنون: هو المصقول، ورجل مسنون الوجه: حَسَنُه سهْله.

٢- ترد السنة بمعنى العناية بالشيء ورعايته، يقال: سَنَّ الإبل يَسُنُّها سَنّاً؛ إذا رعاها فأسمنها وأحسن رعايتها.

٣- وتأتي السنة بمعنى البيان، وسُنَّة الله تعالى: أحكامه وأمره ونهيه، وسَنَّها الله تعالى للناس: بيَّنها، وسنَّ الله تعالى سُنَّة أي بيَّن طريقاً قويماً.

٤- كما تأتي السنة بمعنى السيرة المستمرة، والطريقة، فالسُّنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة[١].

ثانياً: تعريف السنة في الاصطلاح الشرعي: هي:" ما روي عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو سيرة، أو صفة خُلقية، أو خَلقية"[٢]، وأكثر المحدثين أضاف إليها:" الصحابي أو التابعي"[٣]، وهذا التعريف هو مرادف لتعريف الحديث عند جمهور المحدثين، وأن معنى السنة والحديث مترادفان؛ لأن كلاهما ينتهيان إلى النبي ﷺ في أقواله المؤيدة لأعماله، وأعماله المؤيدة لأقواله[٤]، وهذا هو الراجح؛ لأن التفريق بينهما هو تفريق لا مبرر له؛ وقد اتسع استعمال الحديث بعد وفاة الرسول ﷺ

---

(١) لسان العرب: ابن منظور: مادة سنن، الصحاح: الجوهري: مادة سنن، القاموس المحيط: الفيروزآبادي: مادة سنن.

(٢) معجم علوم الحديث النبوي: د.عبد الرحمن الخميسي: ١٢٨، شذرات من علوم السنة: د.محمد الأحمدي أبو النور: ٤٤.

(٣) منهج النقد في علوم الحديث: د.نور الدين عتر: ٢٨.

(٤) أُنظر: علوم الحديث ومصطلحه: د.صبحي الصالح: ١١.

فأصبح يشتمل بالإضافة إلى القول فعله ﷺ وتقريره [١]، في حين اعتبر بعض المحدثين أن معنى الحديث خاص بما أُثِرَ عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال دون التقريرات أو الصفات[٢]، وأما لفظ الخبر، والأثر، فهما بمعنى السنة عند جمهور علماء الحديث[٣].

وفي عصرنا هذا ساد إطلاق مفهوم السنة غالباً على السنن العملية من النوافل والمستحبات، وذلك عند عامة المسلمين[٤]، وقد وقع من بعض العلماء خطأ في معنى السنة؛ فأقاموا لفظ السنة الوارد في كلام النبي ﷺ، أو كلام الصحابة ﷺ والتابعين، دليلاً على سنية العمل المرغَّب فيه بالمعنى الاصطلاحي المتأخر، وذلك خطأ يجب التنبه له، فإن لفظ السنة الوارد في الأحاديث، أو كلام الصحابة ﷺ، والتابعين، يعتمد المعنى الشرعي العام، فيشتمل على الاعتقادات، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والآداب، وغيرها؛ وهذه فيها الفرض والواجب وكل مرغب فيه ومستحب مشروع من الأقوال والأفعال[٥].

---

(١) الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري: د.عبد المجيد محمود عبد المجيد: ١٣.

(٢) شذرات من علوم السنة: د.محمد الأحمدي أبو النور: ٦٦.

(٣) أُنظر: منهج النقد في علوم الحديث: د.نور الدين عتر: ٢٩، شذرات من علوم السنة: د.محمد الأحمدي أبو النور: ٦٦، السنة قبل التدوين: د.محمد عجاج الخطيب: ٢٢.

(٤) أُنظر: مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة: د.ناصر العقل: ٤٧.

(٥) أُنظر: السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدارقطني: عبد الفتاح أبو غدة: ٩ ، ١٩.

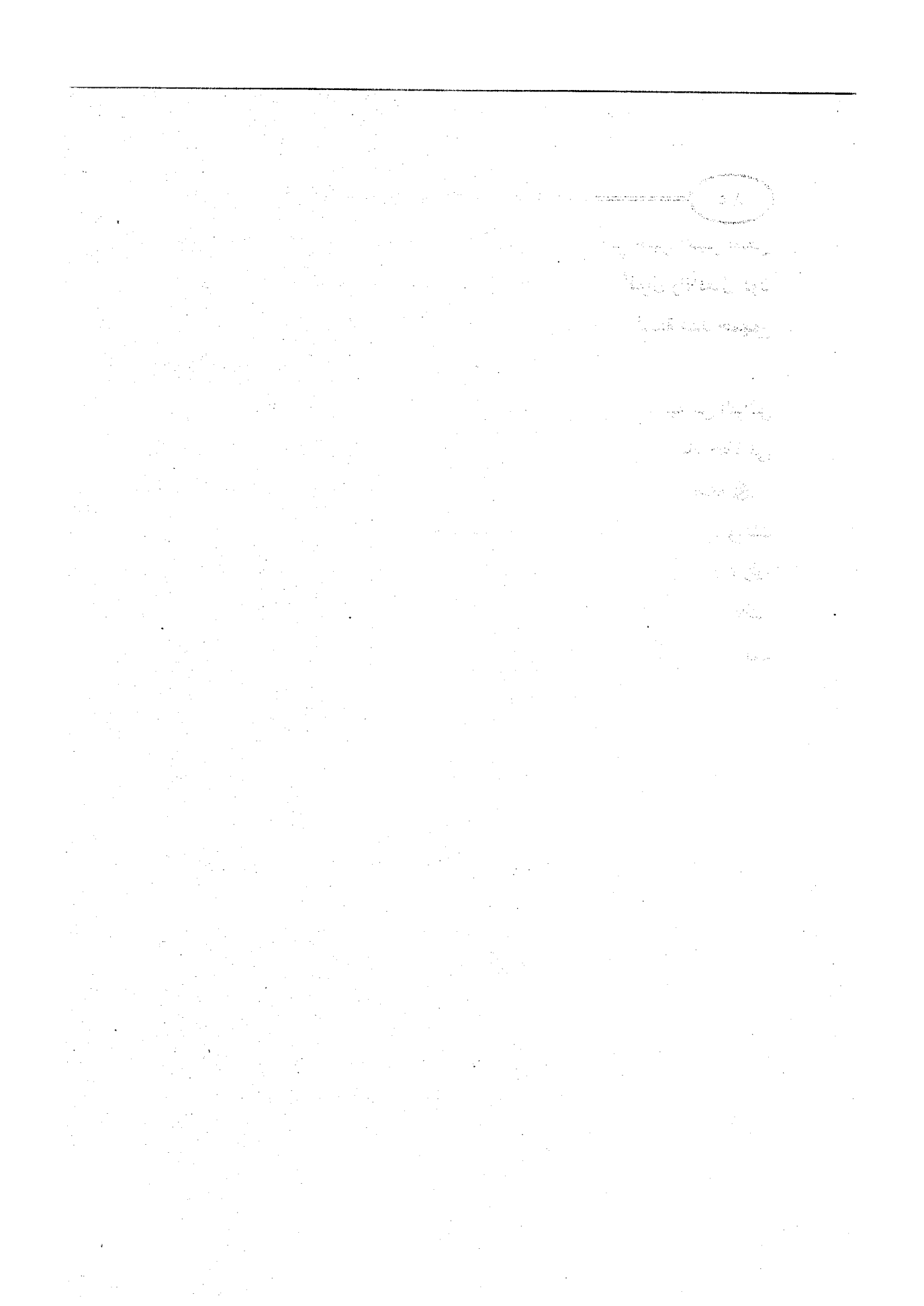

المبحث الأول

فتنة الابتداع والهوى في السنة النبوية

المطلب الأول

الأحاديث الواردة في فتنة الابتداع والهوى في السنة النبوية

من أعظم الفتن فتنة الإحداث في الدين، والتعبد لله بعبادات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان[١]، فإن من أصول التوحيد: ألا يعبد إلا الله تعالى، ولا يعبد إلا بما شرع، وهذا معنى الشهادتين، وقد قرر العلماء أن الأصل في العبادات الحظر، حتى يدل الدليل على الإباحة والإذن؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:" من أحدث[٢] في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد"[٣].

---

(١) وهو ما يسمى بالبدعة وهي:" طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه "، انظر: الاعتصام: الشاطبي: ٢٨/١، السنة والبدعة: د.يوسف القرضاوي: ١٠، وهناك آراء للعلماء القدامى والمعاصرين فيما هو داخل في البدعة أم لا، انظر للتوسع: السنة والبدعة: محمد الخضر حسين: ٢٣، كلمة هادية في البدعة وأحكامها: وهبي غاوجي الألباني: ٥٣، مفهوم البدعة بين الضيق والسعة: محمد النص: ٩، ٣٠.

(٢) الحدث: الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة، والمحدث يروى بكسر الدال وفتحها؛ فمعنى الكسر: من نصر جانياً أو آواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه، والفتح: هو الأمر المتبدع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه الرضا به والصبر عليه؛ فإنه إذا رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٣٥١/١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (الحديث: ٢٥٥٠): ٩٥٩/٢، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، (الحديث: ١٧١٨): ١٣٤٣/٣.

قال النووي:" وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ؛ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، سواء أحدثها الفاعل أو سُبق بإحداثها، وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به"(١).

والبدع سبب للتفرق، وإلقاء العداوة والبغضاء بين أفراد الأمة؛ وبالتالي أدت إلى الفتنة؛ لأن فيها تركاً للمشروع، وفعلاً للمنهي، والمتتبع لظهور فتنة الابتدع يرى أنها فرّقت الأمة، وشغلتها عن جهاد عدوها، وذلك بانشغال الأمة بعضها ببعض، وهذا ما رواه ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" ...وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق: ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ حتى يأتي أمر الله"(٢)، فالأئمة المضلين هم الداعين إلى البدع والفسق والفجور(٣)، وبهؤلاء تنتشر

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٦/١٢.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، (الحديث: ٤٢٥٢): ٤٩٩/٢، واللفظ له، قال الألباني:" صحيح"، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٩/٣- ١٠، ورواه الترمذي في سننه في كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأئمة المضلين، وقال:" هذا حديث حسن صحيح"، (الحديث: ٢٢٢٩): ٤٠٥/٤ قال الألباني:" صحيح"، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٤٨٧/٢- ٤٨٨، ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، (الحديث: ٣٩٥٢): ١٣٠٤/٢، قال الألباني:" صحيح"، انظر: صحيح سنن ابن ماجه: ٢٩٢/٣- ٢٩٣، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٢٤٥٢): ١١٨/٣٧، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده صحيح على شرط مسلم"، ورواه الدارمي في سننه في المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، (الحديث: ٢٠٩): ٨٠/١، قال حسين سليم أسد في هامشه:" إسناده صحيح".

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد العظيم آبادي: ٢١٨/١١.

فتنة الابتداع والهوى في الدين، ويصبح الناس طوائف وجماعات متفرقة، وقد تؤدي إلى فتن أخرى كفتنة الاختلاف والتفرق، وفتنة الهرج (القتل)، وقد قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، [2].

(١) سورة الشورى، الآية: ٢١.

(٢) الفتن في الآثار والسنن: جزّاع الشمّري: ١٢٦- ١٢٧.

المطلب الثاني

أمثلة على فتنة الابتداع والهوى والتحذير منها في السنة النبوية[١]

أولاً: بدعة تقديم العقل على النقل: زاعمين أن الأدلة النقلية غير كافية، وهذا غلو وضلال، والعقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح، فإذا تعارضا فإما أن يكون العقل غير صريح، أو أن النقل غير صحيح، وهذه البدعة يكفي في ردها ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"[٢]، وقد بيّن الله تعالى ذلك وهو وجوب الاحتكام إلى الله ورسوله وترك ما دونه بقوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

والأصل أن تجري النصوص الشرعية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ظاهرها ما لم يمنع مانع، وعلى هذا درج العلماء القدامى منهم والمعاصرين، حتى ظهر هؤلاء الناس الذين أوّلوا نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وقدموا عليها العقل، فأنكروا كثيراً من الأمور الغيبية، التي ثبتت بهذه الآيات والأحاديث، وقد يؤدي بهم ردّ أحاديث صحيحةلم تستسغها عقولهم[٤].

---

(١) ومن أمثلة البدع الماضية التي زالت وانتهت، وهي فتنة كبيرة، القول بخلق القرآن، انظر في ذلك: سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة: مصطفى عسيري: ٥٤– ٥٧.

(٢) رواه النووي في الأربعين النووية، (الحديث:٤١): وقال:" حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح"، انظر: شرح التفتازاني على الأحاديث الأربعين النووية: ٢٣١/١، قال ابن حجر:" ورجاله ثقات"، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٢٨٩/١٣، فيض القدير: المناوي، (الحديث: ٧٣٦٢): ٢٩٥/٥.

(٣) سورة النور، الآية: ٥١.

(٤) انظر للتوسع: الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر وبلاد الشام: د.محمد أسود: ٤٦٦– ٤٧٦.

ثانياً: بدعة فصل الدين عن الدولة: وتتمثل في العدول عن محكم الآيات وصحيح الأحاديث النبوية، واعتقاد أن الإسلام إنما جاء لينظم العبادة بين المكلف وربه، وأما أمور الدنيا فلا علاقة للإسلام بها، كما هو شأن العلمانيين[١]، فعن عبد الرحمن بن يزيد رحمه الله تعالى عن سلمان ﷺ قال: قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة قال: فقال:" أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم"[٢]، وقد أحاطت الشريعة بعلم كل شيء، فما من شيء يحتاج إليه المكلفون في شؤون دنياهم وأخراهم إلا بينته بياناً مفصلاً، وقد قال الله تعالى في معرض ذلك:﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٣]، وقال الله تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٤]، ويكفي في رد هذه البدعة؛ أن أطول آية في القرآن الكريم هي آية الدّين، جاءت لتنظيم معاملة المكلفين، وهناك أمثلة كثيرة على الابتداع في الدين لا يسعنا المجال تبيانها[٥].

---

(١) انظر للتوسع: نقد دعوى وقف العمل بنصوص الشريعة الإسلامية: دراسة تحليلية: د.محمد أسود: ٢٣– ٣٥، درء الفتنة عن أهل السنة، بكر أبو زيد: ٢٠–٢١ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، باب الاستطابة، (الحديث: ٢٦٢): ١/٢٢٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٤) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٥) انظر للتوسع: الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم: ٧٩– ٩١، القتال في الفتنة: دراسة تأصيلية عقدية: عبد الله السويد: ٣٢– ٣٨.

المطلب الثالث

أهم المسائل المتعلقة في فتنة الابتداع والهوى

أورد هنا أهم مسائل فتنة الابتداع والهوى؛ لتتضح الفكرة العامة لهذه الفتنة؛ التي انتشرت في بعض بلاد المسلمين، وهذا كله مستفاد من أقوال علماء المسلمين:

أولاً : البدعة إن لم يكفر أصحابها فهم ما زالوا في دائرة الإسلام.

ثانياً : ليس كل من خالف في شيء من العقيدة الصحيحة يجب أن يكون هالكاً في الآخرة .

ثالثاً : لا يكفر أحد بمجرد اتباعه فرقة معينة .

رابعاً : الدغاء للمؤمنين يشمل اثنتين وسبعين فرقة .

خامساً: إذا لزم الهجر للمبتدع فإنما هو للتأديب لا للإتلاف[1].

---

(١)كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٧٩/٣، ٣١٥/٢٧، ٢٠٦/٢٨، منهاج السنة النبوية: ابن تيمية: ٢٤٠/٥، زاد المعاد: ابن قيم الجوزية: ٥٧٨/٣.

المبحث الثاني

فتنة التفرق والاختلاف المذموم في السنة النبوية

المطلب الأول

الأحاديث الواردة في فتنة التفرق والاختلاف المذموم في السنة النبوية

وصف بعض الباحثين هذه الفتنة بأنها من الفتن المستمرة، والتي بدأت منذ استشهاد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان ﷺ حتى يومنا هذا، وفي عصرنا الحاضر نجد أن هذه الفتنة قد استشرت بالأمة بصورة لا مثيل لها، فجنت الأمة الهوان، وتجرعت كأس الضعف والتمزق والخسران، وأصبحت مثلاً للتخلف والانحطاط[١]، والبعض الآخر من الباحثين اعتبر هذه الفتنة من الفتن الفكرية والعقيدية التي بدأت مع ظهور فكر الخوارج الذين بغوا على الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب ﷺ وقتاله لهم، ثم ظهور فكر الشيعة، ثم الفكر القدري والإرجائي[٢]، وهذه الفتنة من أعظم المزالق وأخطر المصائب، وخاصة أن المسلمين تجمعهم أسس كثيرة لوحدتهم، وهي بدورها تحقق لهم نهضتهم ورقيهم وتقدمهم في كافة المجالات المختلفة؛ وذلك في وحدة العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والتاريخ، والثقافة[٣]، ومع وجود هذه الأسس في دينهم فهم في اختلاف وتفرق؛ وذلك بسبب بعدهم عن المنهج الشرعي الصحيح الذي يتسم بالشمولية والتوازن، وجلب المصالح، ودفع المضار، وإعطاء كل ذي حق حقه.

وقد أخبر النبي ﷺ بافتراق الأمة، ووقوع أكثرها في فتنة التفرق والاختلاف، وما يجر ذلك من وقوع هذه الأكثرية في فتنة الابتداع والهوى المخالف للشرع، كما

---

(١) سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة: مصطفى عسيري: ٦٨- ٦٩.

(٢) مختارات من أحاديث الفتن: دراسة تاريخية: محمد الشباني: ٤٢- ٤٩.

(٣) انظر للتوسع: وحدة المسلمين في القرآن الكريم: إحدى قيم النهضة الإسلامية: د.محمد أسود: ٥- ١٠.

جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"[١].

وفي رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل؛ حذو النعل بالنعل؛ حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك؛ وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة؛ وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة؛ كلهم في النار إلا ملة واحدة؛ قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي"[٢].

لم يرد النبي ﷺ بالفِرَق المذمومة المختلفين في فروع الفقة من أبواب الحلال والحرام وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وتقدير الخير والشر، وشروط النبوة والرسالة، وموالاة الصحابة ﷺ، وماجرى مجرى هذه

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب السنة، باب شرح السنة، (الحديث: ٤٥٩٦): ٦٠٨/٢، واللفظ له، قال الألباني:" حسن صحيح"، انظر: صحيح سنن أبي داود: ١١٥/٣، ورواه الترمذي في سننه في كتاب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة، (الحديث: ٢٦٤٠): ٢٥/٥، وقال:" حسن صحيح"، قال الألباني:" حسن صحيح"، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٥٣/٣، ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، (الحديث: ٣٩٩١): ١٣٢١/٢، قال الألباني:" حسن صحيح"، انظر: صحيح سنن ابن ماجه: ٣٠٧/٣، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٨٣٩٦): ١٢٤/١٤، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده حسن".

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، (الحديث: ٢٦٤١): ٢٦/٥، واللفظ له، وقال:" هذا حديث حسن غريب مفسر، لا نعرفه مثل هذا؛ إلا من هذا الوجه"، قال الألباني:" حسن"، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٥٣/٣- ٥٤، ورواه الطبراني في الأوسط عن أنس ﷺ بزيادة:" ما أنا عليه اليوم وأصحابي"، (الحديث: ٧٨٤٠): ٢٢/٨، قال الهيثمي:" رواه الطبراني، وفيه عبد الله بن سفيان، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه هذا، وقد ذكره ابن حبان في الثقات"، انظر: مجمع الزوائد: له، (الحديث: ٨٩٩): ٤٤٨/١.

الأبواب؛ لأن المختلفين فيها قد كفّر بعضهم بعضاً بخلاف النوع الأول فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف، وقد حدث في آخر أيام الصحابة ﷺ خلاف القدرية من معبد الجهني وأتباعه؛ ثم حدث الخلاف بعد ذلك شيئاً فشيئاً؛ إلى أن تكاملت الفرق الضالة اثنين وسبعين فرقة؛ والثالثة والسبعون هم أهل السنة والجماعة وهي الفرقة الناجية[١].

وفي رواية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا، فقال:" ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة؛ وهي الجماعة"، زاد ابن يحيى وعمرو رحمهما الله تعالى في حديثهما:" وإنه سيخرج من أمتي أقوام تَجَارى بهم تلك الأهواء؛ كما يتجارى الكَلَب لصاحبه"، وقال عمرو رحمه الله تعالى: " لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب، لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ، لغيركم من الناس أحرى ألاّ يقوم به"[٢].

والتشبيه بمرض الكَلَب؛ لأنه قد اعتاد لحوم الناس، فإذا أكثر منها أصابه شبه جنون، فيقال: إنه إذا عقر إنساناً أصابه الكلب فيعوي عواء الكلب ويمزق نفسه، ثم يأخذ العطاش حتى يموت وهو ينظر إلى الماء ولا يشربه؛ لأنه يخافه[٣]، وشبه أهل الأهواء بالذي به مرض الكَلَب، لكونهم يتخذون الأهواء ديناً لهم، وحكماً لهم، فهم أشربوا في قلوبهم الأهواء كمثل الكَلَب الذي ينتشر في صاحبه، حتى لا يخلو منه عرق ولا مفصل.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١٢/٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب السنة، باب شرح السنة، (الحديث: ٤٥٩٧): ٢/٦٠٨، قال الألباني:" حسن"، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٣/١١٥- ١١٦، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٦٩٣٧): ٢٨/١٣٤، ١٤٥، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده حسن، وحديث الأمة منه صحيح بشواهده".

(٣) غريب الحديث: الخطابي: ١/٥٨٩، عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١٢/٢٢٣.

ومدلول هذه الروايات من هذا الحديث والهدف من الإخبار عن ذلك: هي بيان افتراق اليهود والنصارى إلى فرق كثيرة، انحرفت كلها عن منهج الله تعالى وشرعه، فاستحقّت أن تكون من أهل النار، ولم ينج منها إلا ما بقي متمسكاً بتعاليم التوراة والإنجيل الصحيحة، وهذا كله قبل ظهور الإسلام.

والأمة الإسلامية سيصيبها ما أصاب الأمم قبلها، فقد افترقت فرقاً كثيرة ونحلاً متعددة، حادت أكثرها عن شرع الله تعالى في الأصول أو الفروع، فخرج بعضها عن الإسلام بالكلّية، وانحرف بعضها في بعض أصول الإسلام، فاستحقوا جميعاً النار يوم القيامة؛ كل بحسب درجته من الانحراف عن هدي الإسلام، ولم ينج من ذلك إلا فرقة واحدة التزمت شرع الله تعالى، أمراً ونهياً، ممّا كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، من العلم النافع، والعمل الصالح[1].

---

(١) انظر للتوسع: أحداث وأحاديث فتنة الهرج: دراسة لفتنة القتال (الهرج) في تاريخ المسلمين: د.عبد العزيز دخان: ٣١٠- ٣١٣، سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة: مصطفى عسيري: ٧٠- ٧٧، الفقه في الدين عصمة من الفتن: صالح الفوزان: ١٢- ١٤، ٢٢- ٢٣، الفتن في الآثار والسنن: جزّاع الشمّري: ١١٦- ١٢١، إتحاف أهل الإيمان بما يعصم من فتن هذا الزمان: عبد الله آل جار الله: ٦٥.

المطلب الثاني

الأحاديث الواردة في التحذير من فتنة التفرق والاختلاف المذموم في السنة النبوية

فقد حذر النبي ﷺ من فتنة التفرق والاختلاف، وذلك من خلال الأحاديث الآتية:

أولاً: عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم"[(١)]، والتحريش بينهم هو الإغراء

وتغيير القلوب والتقاطع؛ أي في حملهم على الفتن والحروب والخصومات والشحناء[(٢)].

ثانياً: كذلك ما رواه جابر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة؛ يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت، قال الأعمش: أراه قال: فيلتزمه"[(٣)].

ثالثاً: ما روته ميمونة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم:" كيف أنتم إذا مرِج الدين، وظهرت الرغبة، واختلفت الإخوان، وحرق البيت العتيق"[(٤)]، ومرِج الدين؛ يعني فسد وظهرت الرغبة، ويريد كثر السؤال، وقلّ الاستعفاف، والحرص على

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً، (الحديث: ٢٨١٢): ٤/ ٢١٦٦.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٥٦/١٧، الترغيب والترهيب: المنذري: ٣٠٦/٣، لسان العرب: ابن منظور: مادة حرش.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً، (الحديث: ٢٨١٣): ٢١٦٧/٤.

(٤) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٦٨٢٩): ٤٤/ ٤١٢، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده حسن"، وقال الهيثمي:" رجال أحمد ثقات"، انظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٢٢): ٦٢٠/٧.

الجمع مع منع الحق، واختلف الإخوان؛ يريد اختلاف المسلمين في الفتن وتحزبهم، ويكون الاختلاف الذي يقع بينهم في الأهواء والبدع حتى يتباغضوا ويتعادوا ويتبرّأ بعضهم من بعض[١].

والموقف الصحيح للمسلم من تعدد هذه الفرق؛ أن يعتزل الفرق الضالة ولا يختلط بها؛ حتى لا يصيبه داء أهلها؛ وأن يبحث عن جماعة المسلمين ويعتصم بها[٢].

(١) غريب الحديث: ابن قتيبة: ١/٣٦٨- ٣٦٩، لسان العرب: ابن منظور: مادة رغب، وانظر للتوسع: القتال في الفتنة: دراسة تأصيلية عقدية: عبد الله السويد: ٩٢- ٩٣، ١٠٠- ١

(٢) فتنة التفرق والأهواء وموقف المسلم منها في ضوء السنة النبوية الشريفة: د. همام سعيد: ٣٣.

المطلب الثالث

أهم المسائل المتعلقة في فتنة التفرق والاختلاف المذموم في السنة النبوية

أولاً: الاختلاف أمر قدري محتوم لا مفر منه: فقد روى عامر بن سعد رحمه الله تعالى عن أبيه ﷺ: أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية؛ دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه؛ ودعا ربه طويلاً؛ ثم انصرف إلينا فقال ﷺ:" سألت ربي ثلاثاً: فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة؛ سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسَّنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"[١]، وعن جابر ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية:﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾[٢]، قال رسول الله ﷺ:" أعوذ بوجهك، قال:﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾[٣]، قال: أعوذ بوجهك، ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾[٤]، قال: هذه أهون أو هذا أيسر"[٥]، ويلبسكم شيعاً؛ أي يجعلكم فرقاً متخالفين، ويذيق بعضكم بأس بعض بحيث يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل وغيره، والبأس هو القوة والشدة؛ ويطلق على الحرب والعذاب، وهذا الأمر أهون؛ لأن فتنة الخلق وتسليط بعضهم على بعض أهون من عذاب الله تعالى[٦].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، (الحديث: ٢٨٩٠):٤/٢٢١٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأنعام، (الحديث: ٤٣٥٢): ٤/١٦٩٤.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٨/٢٦٢.

وكما قال الله تعالى:﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[١]، أي ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم، وقال عكرمة:" مختلفين في الهدى"، وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى:" مختلفين في الرزق يسخر بعضهم بعضاً"، والمشهور الصحيح الأول، وقال بعضهم:" هو الاختلاف في الأديان"؛ فتأويل ذلك: ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى، من بين يهوديّ ونصرانيّ، ومجوسي، ونحو ذلك، واستثنى الله تعالى من ذلك من رحمهم، وهم أهل الإيمان، وخلقهم لتكون العاقبة اختلافهم ما بين شقي وسعيد، أي وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم[٢].

ثانياً: اعتقاد حتمية الاختلاف لا يعني الاستسلام له ولا الاسترسال: فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:(يد الله مع الجماعة)[٣]، وفي رواية عن ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما:(...عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة؛ فيلزم الجماعة، من سرته حسنته، وساءته سيئته؛ فذلكم المؤمن)[٤]، وفي رواية عن عرفجة بن شريح الأشجعي ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:(سيكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق بين أمة محمد ﷺ وأمرهم جميع؛ فاقتلوه

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١١٨- ١١٩.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري: ٥٣١/١٥، تفسير القرآن العظيم:ابن كثير: ٥٦٥/٢، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د.وهبة الزحيلي: ١٧٨/١٢، صفوة التفاسير: الصابوني: ٤٤/٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه في كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، (الحديث: ٢١٦٦): ٤٦٦/٤، وقال:" وهذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ إلا من هذا الوجه"، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٤٥٨/٢.

(٤) رواه الترمذي في سننه في كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، (الحديث: ٢١٦٥): ٤٦٥/٤، وقال:" هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه"، وقال الألباني:" صحيح"، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٤٥٧/٢.

كائناً من كان، فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يرتكض[١])".

والله تعالى أمرنا بالاعتصام بحبله، ونهانا عن التفرق والاختلاف؛ فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٢]، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" هذا مع أن الله أمر بالجماعة والائتلاف؛ ونهى عن البدعة والاختلاف، وقال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[٣]، [٤].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه في كتاب السير، باب طاعة الأئمة، (الحديث: ٤٥٧٧): ٤٣٧/١٠، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده صحيح"، وللحديث رواية أخرى رواها عرفجة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً ما كان"، رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، (الحديث: ١٨٥٢): ١٤٧٩/٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٤) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:١٨١/٣.

المطلب الرابع

أسباب فتنة التفرق والاختلاف المذموم في السنة النبوية

أولاً: الجهل بالشرع: وهذا داء أصاب الخوارج[١]، فإن اختلافهم مع الصحابة ﷺ كان سببه الجهل، وقد روى أبو سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال فيهم:" يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل[٢] فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح فلا يرى شيئاً، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً، ويتمارى في الفوق[٣]"[٤].

ومعنى لا يجاوز القرآن الكريم حناجرهم؛ يريد أنهم تعلقوا بشيء منه، وإن كان مراده بالتعلق الحفظ فقط دون العلم بمدلوله فعسى أن يتم له مراده، وإلا فالذي فهمه الأئمة من السياق أن المراد أن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم؛ لأن ما وقف عند الحلقوم فلم يتجاوزه؛ لا يصل إلى القلب[٥].

---

(١) انظر للتوسع في هذه الفرقة وفتنتها: أثر آراء الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر: عبد التواب عثمان: ٤٥– ١٤١، الفتنة بين الصحابة ﷺ: قراءة جديدة لاستخراج الحق من بين ركام الباطل: محمد حسان: ٢٨١– ٣٠٣، سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة: مصطفى عسيري: ٥١– ٥٤.

(٢) أي لا يرى بصيرة البصيرة القطعة من الدم، انظر: غريب الحديث: ابن الجوزي: ٧٤/١.

(٣) أي يشك الرامي في مدخل الوتر من السهم، هل فيه شيء من أثر الصيد؟ والمعنى: أنهم لا تحصل لهم أية فائدة من قراءتهم؛ مثل: السهم الذي ينفذ من الصيد دون أن يتعلق به أي أثر منه، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٢٩٤/١٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب إثم من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به، (الحديث: ٤٧٧١)، ١٩٢٨/٤، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، (الحديث: ١٠٦٤)، ٧٤١/٢.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٠٠/٩.

ثانياً: الهوى واتباع الظن: والهوى هو ما تهواه النفس، وإن لم يكن الهوى محكوماً بالقرآن الكريم والسنة النبوية، فإنه يكون مذموماً، وكثيراً من الفرق الضالة كالخوارج والمعتزلة ضلّت بسبب اتباع الهوى، وقد بيّن الحديث الذي مر معنا قبل قليل؛ أن سبب فتنة التفرق والاختلاف هي تلك الأهواء التي تجارى بأصحابها كما يتجارى داء الكَلَب بصاحبه[١].

وقد قال الله تعالى محذراً من ذلك:﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٢]، وقد حمل اليهود على الكفر اتباع الهوى، مع علمهم بأن نبينا محمد ﷺ هو رسول من الله تعالى، فقال الله تعالى عنهم:﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٣].

ثالثاً: الحرص على الزعامة والرئاسة والقيادة والمنصب والجاه: وهو الداء الدويّ، والشهوة الخفية التي تفتك بالإيمان، وتحرق الحسنات، فهل جهل أبو جهل وكفره إلا ببحثه عن المجد المزعوم؟ وهل أهلك عبد الله بن سبأ إلا حب الرئاسة؟ وهل صرف هرقل عن الإيمان بالله تعالى إلا حب الرئاسة؟ فعن كعب بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال:"ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم؛ بأفسد لها من حرص المرء على المال، والشرف لدينه"[٤].

---

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهَرج: دراسة لفتنة القتال (الهرج) في تاريخ المسلمين: د.عبد العزيز دخان: ٣١١، ٣١٣.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٤) رواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب (٤٣)، (الحديث: ٢٣٧٦): وقال:" حديث حسن"، ٥٨٨/٤، واللفظ له، قال الألباني:" صحيح"، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٥٥٣/٢، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٥٧٩٤): ٨٥/٢٥، قال الأرناؤوط في هامش المسند: " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين".

رابعاً: سوء الظن بالآخرين: فهو ينظر للجميع بالمنظار الأسود، فأفهامهم سقيمة، ومقاصدهم سيئة، وأعمالهم خاطئة، بدلاً من أن تكون العلاقة مع الآخرين، هو الحب والإخاء والتعاون وحسن الظن بهم، فقد روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث"[١]، والمراد النهي عن ظن السوء هو تحقيق الظن وتصديقه؛ دون ما يهجس في النفس فإن ذلك لا يملك؛ والمحرم في الظن ما يستمر صاحبه عليه؛ ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر؛ فإن هذا لا يكلف به[٢]، وقد حذرنا الله تعالى من ذلك فقال:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٣].

خامساً: التعصب الأعمى لعالم أو مذهب أو جماعة من الناس: إن الله تعالى لم يجعل العصمة إلا للقرآن الكريم والسنة النبوية، وما أجمعت عليه الأمة، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيقول:كنا في غزاة – قال سفيان مرة: في جيش – فكسع[٤] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال:" ما بال دعوى جاهلية، قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة[٥]"، [٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (الحديث: ٥٧١٧): ٢٢٥٣/٥، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، (الحديث:٢٥٦٣): ١٩٨٥/٤.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١١٩/١٦.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٤) الكسع: ضرب الدبر، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ١٧٣/٤.

(٥) أي أنها كلمة قبيحة مؤذية، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٦٤٩/٨.

(٦) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله:" إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله" {المنافقون: ١}، (الحديث: ٤٦٢٢): ١٨٦١/٤، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، (الحديث:٢٥٨٤): ١٩٩٨/٤.

سادساً: التصدر قبل كمال الأهلية: وهذا معنى ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" إن الله لا يقبض العلمْ انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤساء جهالاً؛ فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا"[١]، وقد قال الإمام مالك رحمه الله تعالى:"ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك"[٢]، وانظر إلى ورع السلف الصالح ﷺ إذ يقول أبو الحسين الأزدي رحمه الله تعالى:" إن المسألة لتعرض على أحدكم فيفتي فيها؛ لو عرضت على عمر ﷺ لجمع لها أهل بدر"[٣].

ويضاف لما سبق بعض الأمور الأخرى، وهي مستفادة من أقوال أهل العلم؛ مثل: الظلم والبغي، والغرور بالنفس، ومؤامرات الأعداء وأهل النفاق، وعدم التثبت في نقل الأخبار وسماعها وروايتها[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب باب كيف يقبض العلم؟ (الحديث: ١٠٠): ١/٥٠، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (الحديث: ٢٦٧٣): ٤/٢٠٥٨.

(٢) شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي: ١/٢٨٢.

(٣) إعلام الموقعين: ابن قيم الجوزية: ٤/٢٣٩.

(٤) الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم: ٩٢- ٩٩، الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن: عبد الحميد السحيباني: ٢٩٦- ٣٠٢، ٤٣٦- ٤٤٣، ٤٧٨- ٤٩١، التحذيرات من الفتن العاصفات وتمييز ما اشتهر من الروايات، علي الحلبي الأثري: ٩-١٣.

المطلب الخامس

المخرج من فتنة التفرق والاختلاف المذموم في السنة النبوية

أولاً: الإخلاص والتجرد من الهوى: فقد روى عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..."[١]، فالواجب على المسلم أن يفتش في نفسه إذا ظهر الاختلاف بين المسلمين، هل يريد بعمله الله تعالى والدار الآخرة؛ أم يريد أموراً أخرى؟ وكذلك ما رواه أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ:" ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والعدل في الرضى والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه"[٢]، وكما أمرنا الله تعالى بذلك بقوله:﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[٣].

ثانياً: رد الأمر عند الاختلاف للقرآن الكريم والسنة النبوية: فلا يقدم على القرآن الكريم والسنة النبوية آراء الرجال، واجتهاداتهم، فعن وبرة رحمه الله تعالى قال: كنت جالساً عند ابن عمر رضي الله عنهما، فجاءه رجل فقال: أيصلح لي أن أطوف بالبيت قبل أن آتي الموقف؟ فقال:" نعم، فقال: فإن ابن عباس رضي الله عنهما – يقول: لا تطف بالبيت حتى تأتي الموقف، فقال ابن عمر – رضي الله عنهما –: فقد حج رسول الله ﷺ فطاف بالبيت قبل أن يأتي الموقف؛

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (الحديث: ١): ٣/١، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب بدء الإمارة، باب قوله ﷺ:" إنما الأعمال بالنية" وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، (الحديث: ١٩٠٧): ١٥١٥/٣.

(٢) رواه الشجري في الأمالي الخميسية في ذكر الكبر، وذم أهله، وما يتصل بذلك، (الحديث: ٢٥٢٧)، انظر: ترتيب الأمالي الخميسية: العبشمي: ٣٠٢/٢، ورواه أبو داود في الزهد، (الحديث: ٢١٢)، ١٩٩، رواه السيوطي في الجامع الصغير، (الحديث: ٥٥٥٨)، انظر: الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير: يوسف النبهاني: ٤٣/٢، وقال الألباني: حسن، (الحديث: ٣٠٣٩)، انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته: له: ٥٨٣/١.

(٣) سورة البينة، الآية: ٥.

فبقول رسول الله ﷺ أحق أن تأخذ أو بقول ابن عباس – رضي الله عنهما – إن كنت صادقاً؟"[١]، وقد قال الله تعالى عن ذلك:﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٢].

ثالثاً: التزام الحوار بالتي أحسن: والبعد عن المراء في الخصومة، ومن أبرز الأمثلة على محاورة النبي ﷺ لأصحابه ﷺ؛ ما فعله رسول الله ﷺ في حادثة توزيع الغنائم بعد غزوة حنين، فأعطى قريشاً وبعض قبائل العرب ولم يعطِ الأنصار ﷺ، فحزنوا، فحاورهم ﷺ ليقنعهم بما فعل، ويحرك عواطفهم، ويواسيهم، ويبدل حزنهم فرحاً، فقد روى عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ، قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ[٣] يوم حنين، قسّم في الناس في المؤلفة قلوبهم[٤]، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا[٥] إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال:" يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ، قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ، قال: كلما قال شيئاً، قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ، قال: لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الحج، باب ما يلزم من أحرم بالحج ثم قدم مكة من الطواف والسعي، (الحديث: ١٢٤٢): ٢/٩٠٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) أي: لما أعطاه غنائم الذين قاتلهم. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٧/٣٠٧.

(٤) هم ناس حديثو العهد بالإسلام، أعطاهم النبي ﷺ الغنائم تأليفاً لقلوبهم. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٧/٣٠٨.

(٥) أي: حزنوا. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٧/٣٠٨.

شعار والناس دثار[١]، إنكم ستلقون بعدي أثرة[٢]، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"[٣]، [٤]، وقد أمرنا الله تعالى بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، أفلا نرحم إخوتنا المسلمين ونحاورهم بالتي هي أحسن؟ كما قال الله تعالى:﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[٥]، وانظر إلى أسلوب القرآن الكريم في خطابه للمشركين، يقول الله تعالى:﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٦]، وهذا أسلوب قرآني يتنزل فيه القرآن مع المشركين حتى يراجعوا أنفسهم.

رابعاً: إحسان الظن بالمخالف: فهو ينظر للجميع بالمنظار الأسود، فأفهامهم سقيمة، ومقاصدهم سيئة، وأعمالهم خاطئة، بدلاً من أن تكون العلاقة مع الآخرين، هو الحب والإخاء والتعاون وحسن الظن بهم، فقد روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث"[٧]، والمراد النهي عن ظن

---

(١) الشعار: الثوب الذي يلي الجسد، والدثار فوقه، ومعنى الحديث: أن الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء وألصق بي من سائر الناس، وهذا من مناقبهم الظاهرة وفضائلهم الباهرة. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٥٧/٧.

(٢) أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء، والاستئثار: الانفراد بالشيء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٢٢/١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف، (الحديث: ٤٣٣٠): ١٥٧/٥، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، (الحديث: ١٠٦١)، ٧٣٨/٢.

(٤) انظر للتوسع: حوارات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودلالاتها: د.محمد أسود: ٦٢٧/١- ٦٤٨.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٦) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

(٧) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (الحديث: ٥٧١٧): ٢٢٥٣/٥، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، (الحديث:٢٥٦٣): ١٩٨٥/٤.

السوء هو تحقيق الظن وتصديقه؛ دون ما يهجس في النفس فإن ذلك لا يملك؛ والمحرم في الظن ما يستمر صاحبه عليه؛ ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر؛ فإن هذا لا يكلف به[١]، وقد حذرنا الله تعالى من ذلك فقال:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٢]، [٣].

خامساً: مراعاة الإنصاف في تقويم المخالف: وذلك حرصاً على إطفاء فتنة الفرقة والاختلاف؛ وهذا الأمر يتحقق من خلال إغفال الهفوات لمن غلب خيره: كما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى معلقاً على حديث المسور بن مخرمة ومروان رضي الله عنهما يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا: وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حَلْ حَلْ[٤] فألحت[٥]، فقالوا: خلأت[٦] القصواء، خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ:" ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل[٧]"[٨]؛ حيث يقول:" جواز الحكم على الشيء بما عرف من عادته، وإن جاز أن يطرأ عليه غيره، فإذا وقع من شخص لطيفة جميلة لا يعهد منه مثلها، لا ينسب إليها، ويرد على من نسبه إليها"[٩]، وهناك بعض الأمور الأخرى المستفادة من أقوال العلماء؛ مثل: الإنصاف أن المخالف لا يهدر

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١١٩/١٦.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٣) انظر للتوسع: كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٧٣/٢٤.

(٤) هي كلمة تقال للناقة إذا تركت السير، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٣٥/٥.

(٥) أي تمادت على عدم القيام وهو من الإلحاح، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٣٥/٥.

(٦) خلأت القصواء؛ الخلاء للإبل كالحران للخيل، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٣٥/٥.

(٧) حبسها حابس الفيل؛ منعها من السير ودخول مكة، تشبيهاً بحبس الفيل حين جيء به لهدم الكعبة المشرفة، انظر: هامش صحيح البخاري، د.مصطفى البغا: (الحديث: ٢٥٨١): ٩٤٧/٢.

(٨) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، (الحديث: ٢٥٨١): ٩٤٧/٢.

(٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٣٥/٥.

بهفوته ولا يتبع فيها[١]، ولا نؤثم ولا نعصم[٢]، والإنصاف باعتبار المحاسن والمساوئ[٣]، والإنصاف باعتبار المحاسن بتغليب المحاسن[٤]، وإنصاف المخالف بعدم الاستخفاف به؛ بل يرحمه ويدعو له[٥].

سادساً: الإنصاف في مراعاة الحكمة في مخاطبة المخالف: فعلينا مخاطبة الناس بما ينفعهم، وتجنب ما يفتنهم، يقول علي بن أبي طالب ﷺ:" حدّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذّب الله ورسوله؟"[٦]، ويقول عبد الله بن مسعود ﷺ:" ما أنت بمحدث قوماً حديثاً، لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة"[٧].

ويضاف لما سبق بعض الأمور المستفادة من أقوال أهل العلم؛ مثل: الإنصاف في الموازنة بين المصالح والمفاسد: وذلك حرصاً على إطفاء فتنة الفرقة والاختلاف؛ وهذا الأمر يظهر بما يلي: إسلام الكافر على يد مبتدع أولى من بقائه على الكفر، وتوبة الفاجر بسماع أحاديث ضعيفة خير من بقائه على فجوره[٨]، والصلاة خلف المبتدع أولى من ترك الجماعة، والواجب الآكد والمحرم الأدنى يبدأ به عند التزاحم والتحتم، وتحتمل مفسدة الاستعانة بالمبتدعة في تحصيل واجب أعظم، وعدم جواز الإنكار في مسائل الاجتهاد لا يعني عدم جواز النصيحة، ونور

---

(١) انظر للتوسع: إعلام الموقعين: ابن قيم الجوزية: ٢٨٣/٣.

(٢) انظر للتوسع: الفتاوى: ابن تيمية: ١٥/١١، ٦٩/٣٩.

(٣) انظر للتوسع: تهذيب الكمال: المزي: ٣٨١/٢.

(٤) انظر للتوسع: الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي: ٧٩/١، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣٠١/٢٧.

(٥) انظر للتوسع: كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١١٩/٥، منهاج السنة النبوية النبوية: ابن تيمية: ٣٤٣/٢.

(٦) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، (الحديث: ١٢٧): ٥٩/١.

(٧) رواه مسلم في صحيحه في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، (الحديث: ٥): ١٠/١.

(٨) انظر للتوسع: الفتاوى: ابن تيمية: ٩٦/١٣.

معه ظلمة خير من ترك النور بالكلية، ولا يهجر المبتدع إذا فوت الهجر بعض المصالح[١].

وكذلك الإنصاف في الإنكار على المخالف: وذلك حرصاً على إطفاء فتنة الفرقة والاختلاف؛ وهذا الأمر يتجلى بالتالي: عدم الإنكار في المختلف فيه من مسائل الاجتهاد[٢]، والإنكار في مسائل الخلاف وعدم الإنكار في مسائل الاجتهاد[٣]، وعدم الإنكار على من كان حديث التوبة والإسلام إلا بعد تمكّنه من العلم والعمل، وعدم الإنكار حيث لا يجدي الإنكار إلا عند مظنة القبول[٤].

وكذلك يضاف لما سبق؛ الابتعاد عن الجزئية في التعامل مع نصوص الشرع وأقوال أهل العلم، والتفريق بين مواضع الإجماع ومواضع الاختلاف[٥]، واعتبار المآلات والنظر في المقاصد، ومراعاة عوارض الجهل والإكراه والتأويل السائغ، ومراعاة الإنصاف في تجريح المخالف[٦]، والإنصاف في تحقيق المصالح الشرعية[٧]، [٨].

---

(١) انظر للتوسع: كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣٦٤/١٠، ٥٧/٢٠، ٣٤٣/٢٣، ٢١٢/٢٨.

(٢) انظر للتوسع: إعلام الموقعين: ابن قيم الجوزية: ٢٨٨/٣.

(٣) انظر للتوسع: الفتاوى: ابن تيمية: ٤٦٦/٢.

(٤) انظر للتوسع: كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٥٩/٢٠- ٦٠.

(٥) انظر للتوسع: الفتاوى: ابن تيمية: ١٧٢/١٤، جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر الأندلسي: ٨٠/٢.

(٦) انظر للتوسع: سير أعلام النبلاء: الذهبي: ٩٢/١٠.

(٧) انظر للتوسع: الفتاوى: ابن تيمية: ٢٥٤/٢، ١٧٧/٣.

(٨) انظر للتوسع: الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم: ٩٩- ١١١.

المبحث الثالث

فتنة تسلط الكافرين على المسلمين في السنة النبوية

المطلب الأول

الأحاديث الواردة في فتنة تسلط الكافرين على المسلمين في السنة النبوية

إن من الفتن الكبيرة ما نراه في العالم المعاصر، وقبل ذلك بعدة قرون؛ من تسلط الكفار على المؤمنين إيذاءً وقتلاً واستضعافاً وتحكّماً في موارد البلاد الإسلامية ومقدراتها، وأحوالها، وشؤونها السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال:" يامعشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن؛ لم تظهر الفاحشة في قوم قط؛ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض مافي بأيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"[1].

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب العقوبات، (الحديث: ٤٠١٩): ٢/ ١٣٣٢، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن ابن ماجه: ٣/٣١٦.

وكذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" إذا تبايعتم بالعِينة[١]، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع[٢]، وتركتم الجهاد[٣]؛ سلّط الله عليكم ذُلاً[٤] لا ينزعه، حتى ترجعوا إلى دينكم"[٥].

والجزاء من جنس العمل، فمن ضيّع الله تعالى والعمل بما أنزل ضيّعه الله تعالى، وقد ثبت عن ثوبان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير؛ ولكنكم غثاء كغُثاء السيل[٦]، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم[٧]، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن[٨]، فقال قائل: يارسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"[٩].

---

(١) أخذ بالعينة أي السلف أو أعطى بها، والتاجر باع سلعته بثمن إلى أجل ثم اشتراها منه بأقل من ذلك الثمن، قال الرافعي: وبيع العينة هو أن يبيع شيئاً من غيره بثمن مؤجل ويسلمه إلى المشتري ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد أقل من ذلك القدر، وقد ذهب إلى عدم جواز بيع العينة مالك وأبو حنيفة وأحمد وجوز ذلك الشافعي وأصحابه، وقد حقق الإمام ابن القيم عدم جواز العينة، انظر: عون المعبود: العظيم آبادي: ٢٤٢/٩.

(٢) حمل هذا على الاشتغال بالزرع في زمن يتعين فيه الجهاد، انظر: عون المعبود: العظيم آبادي: ٢٤٢/٩.

(٣) أي المتعين فعله، انظر: عون المعبود: العظيم آبادي: ٢٤٢/٩.

(٤) سلط الله عليكم صغاراً ومسكنة، ومن أنواع الذل الخراج الذي يسلمونه كل سنة لملاك الأرض، وسبب هذا الذل والله أعلم؛ أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين عاملهم الله بنقيضه؛ وهو إنزال الذلة بهم فصاروا يمشون خلف أذناب البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان، انظر: عون المعبود: العظيم آبادي: ٢٤٢/٩.

(٥) رواه أبو داود في سننه في كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة، (الحديث: ٣٤٦٢): ٢٩٦/٢، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٣٦٥/٢.

(٦) أي ما يحمله السيل من زبد ووسخ؛ شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم، انظر: عون المعبود: العظيم آبادي: ٢٧٣/١١.

(٧) أي الخوف والرعب، انظر: عون المعبود: العظيم آبادي: ٢٧٣/١١.

(٨) أي الضعف، وكأنه أراد بالوهن ما يوجبه، ولذلك فسره بحب الدنيا وكراهة الموت، قال الطيبي: سؤال عن نوع الوهن أو كأنه أراد من أي وجه يكون ذلك الوهن، قال: حب الدنيا وكراهية الموت، وهما متلازمان؛ فكأنهما شيء واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين من العدو المبين، ونسأل الله العافية، انظر: عون المعبود: العظيم آبادي: ٢٧٣/١١.

(٩) رواه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على أهل الإسلام، (الحديث: ٤٢٩٧): ٥١٤/٢، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٢٤/٣- ٢٥.

وقد تولى القرآن الرد على هذه القضية، فقال الله تعالى رداً على الصحابة ﷺ في غزوة أحد:﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]، أي بسبب مخالفتكم لأمر رسول الله ﷺ، لاختياركم الخروج من المدينة أو لتخليتكم المركز في جبل الرماة، وقيل: لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم[٢]، وهذه سنة الله تعالى أن الانحراف عن دين الله تعالى سبب لتسلط الكفار على المؤمنين.

وهذا ما أكده الله تعالى بقوله:﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[٣]، وكذلك قول الله تعالى:﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[٤]، وحينما يتسلط الكافرون على المؤمنين، فإنهم يحاولون أن يوقعوهم في أعظم فتنة، ألا وهي فتنة الكفر والردة عن دين الله تعالى، وهذا ما ذكره الله تعالى بقوله:﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[٥]، وكذلك أكد الله تعالى هذا الأمر بقوله:﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[٦]،[٧].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري: ٣٧٢/٧، تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٥٢٢/١، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د.وهبة الزحيلي: ١٥٢/٤.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(٧) الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم بن أحمد: ١١١- ١١٢.

المطلب الثاني

مظهر فتنة تسلط الكافرين على المسلمين في السنة النبوية

المظهر الأساسي في هذه الفتنة هو تقليد المسلمين الأعمى للكافرين في أكثر أمورهم؛ نتيجة ضعفهم وذلهم، وهذا ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها؛ شبراً بشبر، وذراعاً بذراع؛ فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: ومَن الناس إلا أولئك"[١].

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع؛ حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله، آليهود والنصارى؟ قال: فمن؟"[٢].

والتشبيه بالشبر والذراع والطريق ودخول الجحر؛ تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه[٣]، فأخبر ﷺ أن أمته قبل قيام الساعة يتبعون المحدثات من الأمور، والبدع والأهواء المضلة؛ كما اتبعتها الأمم من فارس والروم حتى يتغير الدين عند كثير من الناس[٤].

وقد لاحظنا تحذير النبي ﷺ من هذه الفتنة؛ وبياناً لخطرها على دين المسلمين وحياتهم وهويتهم الإسلامية، وهي من أعظم الفتن التي ابتليت بها الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر، فقد تشبه أكثر المسلمين بعادات وأخلاق اليهود والنصارى خاصة، ونحوهم من أعداء الإسلام عامة، ولا شك أن الوقوع بهذه الفتنة فيه الانهزام الداخلي، والتوهّم والانخداع بالمظاهر الجوفاء، والخلود إلى دنس

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ:" لتتبعن سنن من كان قبلكم"، (الحديث:٦٨٨٨): ٢٦٦٩/٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، (الحديث: ٢٦٦٩): ٢٠٥٤/٤.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٠١/١٣.

(٤) شرح صحيح البخاري: ابن بطال: ٣٦٦/١٠.

الشهوات، وقد رأى بعض الباحثين أن هذه العلامة بأنها من الفتن المستمرة[١]، وفي هذا الزمن ازداد التشبه بالكفار والافتتان بهم رجالاً ونساءً، حتى ظنوا أن ذلك هو التطور والتقدم، فابتعدوا عن تعاليم الإسلام، وربما انسلخوا من الدين بالكلية، فقد حكّموا قوانين الكفار، وعطلوا شريعة الإسلام، ورفعوا شعاراتهم، وعابوا دينهم، إرضاء لمتبوعيهم، وهم يقلدوهم بكل صغيرة وكبيرة، شبراً بشبر وذراع بذراع، ففتنوا كما فتن أولئك بالدنيا وزينتها من مال، وشهوات، وحب للجاه والسيادة، وغير ذلك، فأحلوا الربا والمفاسد، وأكثر المحرمات، وقلدوهم في الملبس وغيره، وهذا يدل دلالة واضحة على صدق النبي ﷺ في نبوته ورسالته؛ فقد أخبر بما وقع فعلاً، وبما نراه ليل نهار[٢].

ويتبع الكفار وسائل متعددة لفتنة المسلم عن دينه وتحويله عن إيمانه، وأنه كلما قوي تسلطهم وشوكتهم كلما قويت هذه الوسائل، ونرى هذه الوسائل منتشرة في بعض بلاد المسلمين، وهي كما يلي:

أولاً: محاولة إيقاع بعض المسلمين في الردة عن طريق التبشير، والتنصير، والاستشراق، والبعثات العلمية.

ثانياً: إيقاعهم في نواقض الإسلام الكفرية من حيث لا يشعرون: وذلك من خلال الغزو الفكري المنظم؛ مثل: الشيوعية، والعلمانية، وتحرير المرأة ومساواتها بالرجل، واستبدال الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية.

---

(١) سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة: مصطفى بن أحمد عسيري: ٥٨، ٧٧.

(٢) انظر للتوسع: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود بن عبد الله التويجري: ١/٢١٩- ٢٢٤، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى أبو النصر الشلبي: ٩١- ٩٦، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف عبد الغفور حميد: ٢٦٩- ٢٧١، أشراط الساعة: يوسف بن عبد الله الوابل: ١١١- ١١٣، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٣٣- ١٣٦، الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: ٦٥- ٧٠.

ثالثاً: إغراق الأمة بالشهوات التي تشغلها عن دينها: مثل إشغال الأمة بالفواحش، والفن، والرياضة، ونحوها، وصدق الله تعالى إذ يقول:﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾[١].

رابعاً: محاولة صرف المسلمين عن القرآن الكريم: وذلك بتغريب المناهج في المدارس والجامعات، وجعلها مناهج علمانية، لا صلة لها بالإسلام.

خامساً: الصد عن سبيل الله تعالى ومحاربة رجال الإسلام ودعاته، كما قال الله تعالى عنهم:﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

ولنعلم أن تسلط الكفار على المسلمين يجري وفق سنن الله تعالى الكونية، وحكمته الشرعية، فهم في قبضة الله تعالى، ونواصيهم بيده، وهم مقهورون، لا يستطيعون حولاً ولا قوة إلا أن يأذن الله تعالى، كما قال الله عز وجل:﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [٣]،[٤].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٣) سورة محمد، الآية: ٤.

(٤) الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم بن أحمد: ١١٢- ١١٤.

المطلب الثالث

المخرج من فتنة تسلط الكافرين على المسلمين في السنة النبوية

هو برفع لواء الجهاد في سبيل الله تعالى، بشتى أنواعه؛ حيث يشمل الجهاد بالقتال، واللسان، والعلم، فكما يكون بالسيف والسنان، قد يكون الجهاد فكرياً، أو تربوياً، أو اجتماعياً، أو إعلامياً، أو اقتصادياً، أو سياسياً، ونحو ذلك، ففي عصرنا الحاضر؛ أصبح الغزو الفكري والثقافي والنفسي أهم وأبعد خطراً، وأعمق أثراً من الغزو المادي العسكري، وقد روى أنس، أن النبي ﷺ قال:" جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"[(١)]، الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس وهو بالخروج والمباشرة للكفار، والمال وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه، وهذا هو المفاد من عدة آيات في القرآن الكريم؛ كقول الله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٢)]، والجهاد باللسان بإقامة الحجة عليهم، ودعائهم إلى الله تعالى، ونحوه من كل ما فيه نكاية للعدو[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، (الحديث: ٢٥٠٤): ٢٩٦/٢، واللفظ له، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٢٦٥/٧، ورواه النسائي في كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، (الحديث: ٣٠٩٦): ٧/٦، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٢٢٤٦)، ٢٧٢/١٩، وقال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده صحيح على شرط مسلم"، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب السير، باب الجهاد، (الحديث: ٤٧٠٨): ٦/١١، قال الأرناؤوط في هامشه: " إسناده صحيح على شرط مسلم"، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب: الجهاد، (الحديث: ٢٤٢٧)، ٩١/٢، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الحافظ الذهبي في تلخيصه.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤١.

(٣) سبل السلام: محمد إسماعيل الصنعاني: ٤٦٠/٢.

وكذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلّط الله عليكم ذُلاً؛ لا ينزعه، حتى ترجعوا إلى دينكم"[١]، والحديث من أعلام نبوته ﷺ كما يشهد بذلك واقع المسلمين في كثير من البلاد الإسلامية، نسأل الله تعالى أن يلهم المسلمين الرجوع إلى فهم دينهم فهماً صحيحاً، والعمل به ليعزهم وينصرهم على عدوهم.

وهذه الفتنة لن تستمر وتدوم، بل الأيام دول يقلّبها الله تعالى، كما ذكر ذلك بقوله:﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[٢]، لكن لا ترتفع هذه الفتنة الّمؤلمة إلا أن ترجع الأمة الإسلامية إلى دينها، وتحقق صفة الإيمان بالله تعالى، وصفة الجندية لله عز وجل، عند ذلك تكون أهلاً أن يتنزل عليها نصر الله تعالى، الذي أكده بقوله:﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٣]، وكذلك قوله أيضاً:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، ولا يكون هذا النصر إلا برفع لواء الجهاد في سبيل الله تعالى، بشتى أنواعه كما ذكرت آنفاً [٥].

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة، (الحديث: ٣٤٦٢): ٢٩٦/٢، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٣٦٥/٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٧٣.

(٤) سورة الروم، الآية: ٤٧.

(٥) الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم: ١١٤، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: الألباني: ٣٥٣/٦، المصرف السابع للزكاة:" وفي سبيل الله" وتطبيقاته المعاصرة: د.محمد أسود: ٤١– ٤٥، ٦٦– ٧١.

المبحث الرابع

فتنة تفوق الكافرين في أمور الدنيا في السنة النبوية

المطلب الأول

الأحاديث الواردة في فتنة تفوق الكافرين في أمور الدنيا في السنة النبوية

من الفتن المعاصرة أن نرى بعض المسلمين مفتونين بما وصل إليه الغرب من تحضر ورقي ومدنية، متناسين كفرهم وشركهم ووقوعهم في معصية الله تعالى، وهذا من ضعف اليقين والإيمان بالله عز وجل، وحتى تزول هذه الفتنة من قلوب بعض المسلمين، ونحذرهم من الوقوع فيها، فإننا نذكّر بما ورد عن رسول الله ﷺ في ذلك:

أولاً: وضّح رسول الله ﷺ هذه الفتنة فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب ﷺ قال لرسول الله ﷺ: ادع الله فليوسّع على أمتك، فإن فارس والروم وسّع عليهم، وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، وكان متكئاً فقال:" أو فيّ شك أنت يا ابن الخطاب، أولئك قوم قد عُجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا"[(١)]، بأن المراد أن حظ الكفار هو ما نالوه من نعيم الدنيا ولا حظ لهم في الآخرة[(٢)]، أي: كما أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أنه ينكر عليهم يوم القيامة بخطابه حيث قال جلا وعلا:﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها، (الحديث: ٢٣٣٦): ٨٧١/٢، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء، واعتزال النساء، وتخييرهن وقوله تعالى: {وإن تظاهرا عليه} [التحريم: ٤]، (الحديث: ١٤٧٩)، ١١١١/٢.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٩٣/١٠.

تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[١]، [٢].

وفي رواية أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال: " أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة"[٣].

وهذا ما بيّنه الله تعالى عندما نهى رسوله ﷺ أن يُنظر إلى نعيم الكفار وسعة أرزاقهم فقال جلا وعلا:﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٤]، أي أن الله تعالى يخاطب نبيه محمداً ﷺ بأن لا ينظر إلى هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم، والمترفين، وما عندهم من متعة في حياتهم الدنيا، يتمتعون بها، من زهرة الدنيا ونضرتها، فهي اختبار وابتلاء لهم فيما متعناهم به من ذلك، فهي متعة زائلة مضمحلة، وهو مروي عن قتادة، ورزق ربك أدوم؛ لأنه لا انقطاع له ولا نفاد[٥].

ثانياً: بيّن النبي ﷺ أن ما يصيب هؤلاء الكافرين من هذا النعيم والترف والتقدم؛ هو من باب الاستدراج والمكر بهم، فعن عقبة بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج؛ ثم تلا رسول

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٠.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي محمد القاري: ٨/٣٢٨٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن، باب {تبتغي مرضاة أزواجك} [التحريم: ١]، (الحديث: ٤٩١٣): ٦/١٥٦، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء، واعتزال النساء، وتخييرهن وقوله تعالى: {وإن تظاهرا عليه} [التحريم: ٤]، (الحديث: ١٤٧٩)، ٢/١١٠٨.

(٤) سورة طه، الآية: ١٣١.

(٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري: ١٨/٤٠٣، تفسير القرآن العظيم:ابن كثير: ٣/٢٠٨، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي: ١/٥١٦، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي: ٢/٣١٦، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د.وهبة الزحيلي: ١٦/٣٠٤، ٣٠٦.

الله ﷻ :﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾"[١]، [٢] ، ومعنى الآية: أي فتحنا عليهم أبواب الخير استدراجاً منا، وإملاء لهم، حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الأموال والأولاد والأرزاق، أخذناهم على غفلة، فإذا هم آيسون من كل خير[٣].

ومعنى الحديث النبوي: أي ذلك الإعطاء استدراج؛ أي: مكر منه سبحانه، كما قال الله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤]، وقال جلا وعلا:﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٥]، والاستدراج هو الأخذ في الشيء، والذهاب فيه درجة فدرجة، كالمراقي والمنازل في ارتقائه ونزوله، ومعنى استدراج الله تعالى؛ استدراجهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم، ويضاعف عقباهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم، وذلك أن تواتر الله تعالى نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي، فكلما جدد عليهم نعمه ازدادوا بطراً وجددوا معصية، فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم، ظانين أن متواترة النعم أثرة من الله تعالى وتقريب، وإنما هي خذلان منه وتبعيد[٦]، [٧].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٧٣١١): ٤٥٧/٢٨، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف رشدين بن سعد، وباقي رجال الإسناد ثقات"، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، (الحديث: ٩٢٧٢): ١١٠/٩، والمعجم الكبير، (الحديث: ٩١٣): ٣٣٠/١٧، ورواه البيهقي في شعب الإيمان، (الحديث: ٤٢٢٠): ٢٩٨/٦، وقال الحافظ العراقي:" رواه أحمد، والطبراني، والبيهقي في الشعب بسند حسن"، انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار: له: ١٤٧٧، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته: له، ١٥٨/١.

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري: ٣٥٨/١١، تفسير القرآن العظيم:ابن كثير: ٦٢٥/٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٢.

(٥) سورة القلم، الآيتان: ٤٤– ٤٥.

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي محمد القاري: ٣٢٥٧/٨.

(٧) انظر للتوسع: الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم: ١١٤– ١٢٠.

المطلب الثاني

المخرج من فتنة تفوق الكافرين في أمور الدنيا في السنة النبوية

هذه الفتنة واقعة عند بعض المسلمين في حياتنا المعاصرة اليوم، ولابد من إيجاد مخرج لها، حتى نبعدهم عن تلك الفتنة، وذلك من خلال الأمور التالية:

أولاً: تقوية استشعار المسلمين بالعزة الإيمانية التي تقودهم للاتحاد: وأن نعمة الإيمان لا يعادلها شيء، وأن المؤمنين كلهم إخوة، فهم متحدين مجتمعين على قلب واحد، كما قال الله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وسبب نزول هذه الآية ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمعها الله رسوله ﷺ قال:" ما هذا؟ فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي ﷺ: دعوها فإنها منتنة، قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد، فقال عبد الله بن أبيّ: أوقد فعلوا، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: دعني يا رسول الله، أضرب عنق هذا المنافق، قال النبي ﷺ: دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"[٢].

فيا أيها المسلمون ذلكم رسولكم، وأسوتكم وإمامكم، يرشدكم إلي سلاح ماض وجيش غلاب، وعدة عتيدة، تنفعكم في البأساء والضراء، وتدفع عنكم الأعداء وتزيل عنكم الاستعباد، وترد إليكم العزة الماضية، والكرامة الراحلة، وتبوّئكم

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن، باب قوله:{يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون} [المنافقون: ٨]، (الحديث: ٤٩٠٧): ١٥٤/٦، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، (الحديث:٢٥٨٤): ١٩٩٨/٤.

المكانة العالية؛ ذلكم هو سلاح الائتلاف، والاتحاد، والوفاق[١]، وخاصة أن المسلمين تجمعهم أسس كثيرة لوحدتهم، وهي بدورها تحقق لهم نهضتهم ورقيهم وتقدمهم في كافة المجالات المختلفة؛ وذلك في وحدة العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والتاريخ، والثقافة[٢].

ثانياً: تقوية إيمان المسلمين: فقد روى ابن جريج فقال:" انهزم أصحاب رسول الله ﷺ في الشِّعب، فقالوا: ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ فنعى بعضهم بعضًا، وتحدَّثوا أن رسول الله ﷺ قد قتل، فكانوا في همّ وحزَن، فبينما هم كذلك، إذ علا خالد بن الوليد الجبلَ بخيل المشركين فوقهم، وهم أسفلُ في الشِّعب، فلما رأوا النبيّ ﷺ فرحوا، وقال النبي ﷺ:" اللهم لا قوة لنا إلا بك، وليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر، قال: وثاب نفرٌ من المسلمين رُماة، فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله، وعلا المسلمون الجبلَ، فذلك قوله: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣]"،[٤]، وبهذه الآية ربّى القرآن الكريم تقوية إيمان المسلمين المبني على استشعار العزة والعلو، وهو ما قاله الله تعالى لهم بعد هزيمتهم في غزوة أُحد مسلياً لهم ومحرضاً لهم على الثبات.

واليقين بأن تفوق الكفار على المسلمين لن يدوم، وإنما هذا ابتلاء من الله تعالى، وأن الأيام يداولها الله جلا وعلا بين الناس، وأن على المسلمين أن يأخذوا بأسباب التغيير التي تغير الأوضاع التي بها تمكن الكفار منهم، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٥]، [٦].

---

(١) الأدب النبوي: محمد عبد العزيز الخولي: ٦٠، ١٠٤.

(٢) انظر للتوسع: وحدة المسلمين في القرآن الكريم: إحدى قيم النهضة الإسلامية: د.محمد أسود: ٥- ١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري: ٢٣٥/٧، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د.وهبة الزحيلي: ٩٦/٤- ٩٧.

(٥) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٦) انظر للتوسع: وتلك الأيام نداولها بين الناس: هيئة مجلة البيان، العدد (١٩٥): ٤، سبل مواجهة الفتن: عبد الحكيم بن محمد بلال: ١٥، معالم في فقه الفتن والأزمات: إبراهيم بن صالح الدحيم: ٤٢.

فالمسلم الأعز سنداً ومصدراً وتشريعاً ومنهجاً، وهم همج رعاع كالأنعام؛ بل هم أضل سبيلاً، لا وزن ولا قيمة لهم عند الله تعالى، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[١]،

ثالثاً: أخذ المسلمين بالأسباب المادية لسبقهم، والوصول إلى أبعد مما وصلوا إليه، طالما لا تعارض الشرع، وقد خندق النبي ﷺ حول المدينة خندقاً في غزوة الأحزاب، وهي وسيلة فارسية[٢]، وأن سلمان ﷺ قال للنبي ﷺ:" يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن نخندق؟ فأعجب رأي سلمان المسلمين، وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يبادرون قدوم العدو عليهم، وأخذ رسول الله ﷺ يعمل معهم في الخندق لينشط المسلمين،"[٣]، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة من جهة شمالها، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه، وجاء المشركون فحاصروهم، وهذا ما أكده الله تعالى بقوله:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٤]، [٥].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.

(٢) التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام: د.الأمين محمد محمود الجنكي: ٣٤٧، ٣٥٣.

(٣) المغازي: محمد الواقدي: ٢/٤٤٥.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٥) الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم: ١٢٠– ١٢٢.

المبحث الخامس

فتنة موالاة الكافرين في السنة النبوية

المطلب الأول

الأحاديث الواردة في فتنة موالاة الكافرين في السنة النبوية

من أعظم الفتن التي ابتلي بها بعض المسلمين اليوم، موالاة المؤمنين للكافرين، وقد حرمها الإسلام، فقد روى أسامة بن زيد رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال:" لا يرث مسلم الكافر، ولا الكافر المسلم"[١].

وفي رواية ثانية عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال:" لا يتوارث أهل ملتين، ولا يرث مسلم كافراً، ولا كافر مسلماً، ثم قرأ:﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[٢]"،[٣]، فالآية تبين أن المجتمع الكافر يوالي بعضه بعضاً، فإذا لم يواجه الكفار بمجتمع ولاء بعضهم لبعض، فستقع الفتنة، وهي اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وتنعدم كثير من العبادات الكبار كالجهاد والهجرة، ونحو ذلك، التي هي من مقاصد الشرع والدين؛ بحيث تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض[٤]، ولا تولوا أحداً من الكافرين، بعضهم أولياء بعض[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، (الحديث: ٦٧٦٤)، ٨/١٥٦، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في أول كتاب الفرائض، (الحديث: ١٦١٤)، ٣/١٢٣٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٣.

(٣) رواه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير، (الحديث: ٢٩٤٤): ٢/٢٦٢، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه".

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري: ٢٠/٣٢٤- ٣٢٦، تفسير القرآن العظيم:ابن كثير: ٣/٦٢٥، لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن: ٥/٢٧٦- ٢٧٧، زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي: ٦/٤٢٢، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي: ١/٦٧١، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي: ٦/٢٤٣- ٢٤٦، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي: ٢٢/٨٨- ٩٠، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د.وهبة الزحيلي: ٢٢/١٠٦- ١٠٩.

(٥) المغازي: محمد الواقدي: ١/١٣٦، الولاء والبراء في الإسلام: د. صالح الفوزان: ١٢٦.

وكذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه:" أي عرى الإيمان – أظنه قال: – أوثق؟ " قال: الله ورسوله أعلم، قال: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله"[١]، وذلك أن الولاء للمسلمين يكون بمحبتهم، ونصرتهم، والاهتمام بشؤونهم، والنصح لهم، والدعاء لهم، ومواساتهم؛ وهو من مقتضيات تحقيق الإيمان الشرعي، كما أن البراءة من الكافرين والمنافقين ببغضهم، والحذر من التشبه بهم، ومخالفة مناهجهم؛ من لوازم تحقيق الإيمان، فالتميز والمفاصلة أمران ضروريان للمسلمين في هذا العصر، فليس هناك أنصاف حلول ولا التقاء في منتصف الطريق مع الكافرين[٢].

ومعنى الموالاة: المحبة والتقريب والنصرة من أجل الدين، وضدها المعاداة؛ وهي البعد والبراء والبغض، والولاء والبراء في الله تعالى، وهي من دين نبينا محمد ﷺ، حيث يقول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣]، وقد جهل كثير من المسلمين هذا الأصل العظيم، حتى صرنا نسمع بعض المسلمين يقول عن غير المسلمين: إنهم إخواننا، ويا لها من كلمة خطيرة[٤].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، (الحديث: ١١٥٣٧): ٢١٥/١١، ورواه البيهقي في شعب الإيمان، (الحديث: ٩٠٦٨): ٧٦/١٢، وقال الألباني:" فالحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل". انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: له، (الحديث: ١٧٢٨): ٣٠٦/٤– ٣٠٧.

(٢) حقيقة الإيمان: د.محمد أمحزون: ٨، توحيد المشاعر: علاقة ممتدة: خالد أبو الفتوح: ٢٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٤) الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم: ١٢٢– ١٢٣، من مفاهيم عقيدة السلف الصالح: الولاء والبراء في الإسلام: محمد القحطاني: ٨٩– ٩٢، ١٤٥– ١٥٠، ١٩٩– ٢٠٤، رفع الذل والصغار عن المفتونين بخُلُق الكفار: عبد المالك رمضاني: ١٢– ١٣.

المطلب الثاني

مظاهر فتنة موالاة الكافرين وأحكامها في السنة النبوية

ينبغي على المسلمين الابتعاد عن موالاة غير المسلمين، والحذر من الوقوع في مظاهر موالاتهم، ولا نستطيع أن نحكم على هذه الموالاة بحكم واحد، فمنها ما هو كفر، ومنها ما هو من كبائر الذنوب، ومنها ما هو من الصغائر، وذلك بما يلي:

أولاً: موالاة الكفار التي هي كفر وردة عن الإسلام: وذلك مثل: التولي المطلق، ومودتهم لأجل دينهم وسلوكهم، والتشبه بهم إعجاباً، واستحساناً في قضايا التوحيد والعبادات، وكذلك التشبه المطلق بهم، ولهذا فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" من تشبه بقوم فهو منهم"[(١)]؛ ولأن ذلك يدل على محبة المتشبه للمتشبه به.

ثانياً: موالاة الكفار التي هي من كبائر الذنوب: وذلك مثل: مداهنتهم والتذلل لهم، والمبالغة في تعظيمهم، والدخول في سلطانهم بدون حاجة، ومشاركتهم في أعيادهم الدينية، أو حضور إقامتها؛ على سبيل المجاملة لا الاعتقاد، والاستغفار لهم، والترحم عليهم، والاستعانة بهم، والثقة بهم، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين، فقد روت عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، (الحديث: ٤٠٣١): ٤٤١/٢، واللفظ له، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٥٠٣/٢-٥٠٤، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط؛ فيه علي بن غراب وقد وثقه غير واحد، وضعفه بعضهم، وبقية رجاله ثقات، وهذه الرواية عن حذيفة بن اليمان ﷺ، انظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث:١٧٩٥٩): ٤٧٨/١١، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث:٥٦٦٧): ٤٧٨/٩، قال الأرناؤوط:" إسناده ضعيف"، ويرتقي هذا الضعف إلى الحسن لوجود الشاهد له من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ.

لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك، وأصيب معك، قال له رسول الله ﷺ:" تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا، قال: فارجع، فلن أستعين بمشرك، قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة، قال: فارجع، فلن أستعين بمشرك، قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: فانطلق"[١].

ثالثاً: موالاة الكفار التي هي من صغائر الذنوب وهي محرمة: وذلك مثل: مدحهم، والثناء عليهم بدون مسوغ شرعي بغض النظر عن دينهم، والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بمهاراتهم، دون النظر إلى عقائدهم الباطلة، ودينهم الفاسد، والتأريخ بتأريخهم، والتسمي بأسمائهم، والتشبه بهم في الملبس والكلام، والعادات، وما شابه ذلك، وقد ذكرت حديث التشبه قبل قليل[٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر،(الحديث: ١٨١٧): ٣/١٤٤٩.

(٢) الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم: ١٢٣- ١٢٩، الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن: عبد الحميد السحيباني: ٣٠٦- ٣٠٩، سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة: مصطفى عسيري: ٣٢٩- ٣٣١، رفع الذل والصغار عن المفتونين بخُلُق الكفار: عبد المالك رمضاني: ٢٥- ٣٩، ٧٨- ٩٣، الولاء والبراء في الإسلام: د. صالح الفوزان: ١١٩.

المطلب الثالث

المخرج من فتنة موالاة الكافرين في السنة النبوية

هذه الفتنة واقعة عند بعض المسلمين في حياتنا المعاصرة اليوم، ولابد من إيجاد مخرج لها، حتى نبعدهم عن تلك الفتنة، وذلك من خلال الأمور التالية:

أولاً: بث المفهوم الصحيح لمعنى الولاء والبراء في الأمة الإسلامية: وإعلامها أنه معْلم أساسي للإيمان، وقد روى ابن مسعود ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ:" يا عبد الله بن مسعود، فقلت: لبيك يا رسول الله، ثلاث مرار، قال: هل تدري أي عرى الإيمان أوثق؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أوثق الإيمان الولاية في الله بالحب فيه والبغض فيه"(١)، بل لا يكمل الإيمان إلا بهذا المعْلم؛ كما روى أبو أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:" من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"(٢).

ثانياً: تقوية الإيمان في نفوس الأمة الإسلامية: وبيان أن هؤلاء الكفار لا يملكون مع الله تعالى شيئاً؛ فنواصيهم بيد الله تعالى، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، يحتاجون إلى من يُدبّر أمورهم، ومعرفة أن الأمر كله بيد الله

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه في كتاب التفسير، (الحديث: ٣٧٩٠): ٥٢٢/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي في تلخيصه:" ليس بصحيح"، ورواه الطبراني في معجمه الكبير، (الحديث: ١٠٣٧٩): ١٧١/١٠، قال الألباني: حسن، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، له، (الحديث: ٩٩٨): ٦٩٨/٢- ٧٠٠.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، (الحديث: ٤٦٨١): ٦٣٢/٢، واللفظ له، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن أبي داود: ١٤٠/٣- ١٤١، ورواه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب ٦٠، (الحديث: ٢٥٢١): ٦٧٠/٤، وقال: هذا حديث منكر، وقال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٦١١/٢، ورواه أحمد في مسنده بمعناه عن معاذ الجهني ﷺ، (الحديث: ١٥٦١٧): ٣٨٣/٢٤، قال الأرناؤوط في هامش المسند: "إسناده حسن".

تعالى، ما من شيء إلا عنده خزائنه، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، فقد قال الله تعالى بعد هزيمة المسلمين في غزوة أُحد مسلياً لهم ومحرضاً لهم على الثبات:﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١]، فقد روى ابن جريج فقال:" انهزم أصحاب رسول الله ﷺ في الشِّعب، فقالوا: ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ فنعى بعضهم بعضًا، وتحدَّثوا أن رسول الله ﷺ قد قتل، فكانوا في همّ وحزَن، فبينما هم كذلك، إذ علا خالد بن الوليد الجبلَ بخيل المشركين فوقهم، وهم أسفلُ في الشِّعب، فلما رأوا النبيّ ﷺ فرحوا، وقال النبي ﷺ:" اللهم لا قوة لنا إلا بك، وليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر، قال: وثاب نفرٌ من المسلمين رُماة، فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله، وعلا المسلمون الجبلَ، فذلك قوله: وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين"[٢]، [٣].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري: ٢٣٥/٧، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د.وهبة الزحيلي: ٩٦/٤– ٩٧.

(٣) الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم: ١٢٧– ١٢٨.

المبحث السادس

فتنة الضرّاء في السنة النبوية

المطلب الأول

الأحاديث الواردة في فتنة الضرّاء في السنة النبوية

أطلق بعض الباحثين على هذه الفتنة؛ بأنها فتنة حسية؛ تتمثل في الإرهاب والتعذيب، فقد يعجز أعداء الإسلام من الطواغيت أن يصرفوا المؤمنين عن التمسك بدينهم، وتغيير مواقفهم بالتهديد والسخرية، فيتبعون وسيلة التعذيب الجسماني، لكي يحققوا أهدافهم في إجبارهم على الكفر بالإسلام أو المناداة بتطبيقه، والتاريخ يخبرنا في القديم والحديث: كيف أن هؤلاء الطغاة قد سلكوا وسائل متعددة في إلحاق الأذى الجسماني بالمؤمنين؟ وربما هذه الفتنة من أشد الفتن فتكاً بالمؤمنين، وهي باقية ما بقي الحق إلى يوم القيامة، فنراها كيف أصيب بها الأنبياء والمرسلين؟ والصالحين من المؤمنين قبل الإسلام وبعده حتى عصرنا الحاضر[١].

في حين اعتبر بعض العلماء فتنة الضراء فتنة خاصة، وتكون بالابتلاء بالمصائب، وتقع على الإنسان في خاصة نفسه، وهي سنة كونية أجراها الله تعالى على عباده ليبلوهم أيهم أحسن عملاً[٢].

وهذه الفتنة ألصق شيء بفتن الشبهات؛ لأن شياطين الإنس والجن يُلبّسون على المسلم، ويشككوه في حكمة الله تعالى في هذا البلاء، ويحملوه على الجزع والسخط، وترك دينه، والتشكي من القضاء والقدر، وهذا يتعارض مع ركن من أركان الإيمان؛ ألا وهو الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.

فالدنيا دار المصائب والابتلاءات، وليس فيها لذة على الحقيقة، إلا وهي مشوبة بالكدر، ولو صفت لأحد لصفت لرسل الله تعالى وأنبيائه، ولكن هم أشد

---

(١) القتال في الفتنة: دراسة تأصيلية عقدية: عبد الله السويد: ٤١- ٥١.

(٢) الفتنة وموقف المسلم منها: د.محمد العقيل: ١٨- ٢٢، رؤية شرعية للفتن والنوازل في الساحة العراقية: حسن العراقي: ٥٥- ٥٦.

الناس ابتلاء، كما روى مصعب بن سعد رحمه الله تعالى عن أبيه ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة"[١].

وقد تكون فتنة الضراء بالابتلاء بالفقر، والنبي ﷺ حثنا على التعوذ من فتنته، روت عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقول:" اللهم إني أعوذ بك من الكسل[٢]، والهرم[٣]، والمأثم، والمغرم[٤]، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار، وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى،وأعوذ بك من فتنة الفقر،وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال.."[٥].

---

(١) رواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، (الحديث: ٢٣٩٨): ٦٠١/٤، واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٥٦٥/٢، ورواه النسائي في سننه الكبرى في كتاب الطب، باب أي الناس أشد بلاء، (الحديث: ٧٤٨١): ٣٥٢/٤، ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، (الحديث: ٤٠٢٣): ١٣٣٤/٢، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجه: ٣١٧/٣- ٣١٨، ورواه الدارمي في سننه في كتاب الرقاق، باب في أشد الناس بلاء، (الحديث: ٢٧٨٣): ٤١٢/٢، قال حسين سليم أسد في هامشه: إسناده حسن، والحديث صحيح، ورواه الحاكم في مستدركه، في كتاب معرفة الصحابة ﷺ، (الحديث: ٥٤٦٣): ٣٨٦/٣، وقال: قد صحت الرواية من أوجه عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ﷺ.

(٢) الكسل: عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع إمكانه، وأما العجز فعدم القدرة عليه، وقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف به، وكلاهما تستحب الإعاذة منه، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢٨/١٧.

(٣) المراد به الاستعاذة من أن يرد إلى أرذل العمر، وسبب ذلك؛ لما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط والفهم، وتشويه بعض النظر، والعجز عن كثير من الطاعات والتساهل في بعضها،انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢٩/١٧.

(٤) استعاذته ﷺ من المغرم وهو الدَّين؛ فسره ﷺ في بعض الأحاديث: أن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف، ولأنه قد يمطل المدين صاحب الدين، ولأنه قد يشتغل به قلبه، وربما مات قبل وفائه فبقيت ذمته مرتهنة به، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢٩/١٧.

(٥) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات،باب التعوذ من المأثم والمغرم،(الحديث: ٦٠٠٧): ٢٣٤١/٥،واللفظ له،ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،(الحديث:٥٨٩): ٢٠٧٨/٤.

وقيل: استعاذ النبي ﷺ من الفقر الذى هو فقر النفس لا قلة المال، قال القاضي: وقد تكون استعاذته من فقر المال؛ والمراد الفتنة فى عدم احتماله وقلة الرضا به، كما استعاذ النبي ﷺ من شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر؛ لأنهما حالتان تخشى الفتنة فيهما بالتسخط، وقلة الصبر، والوقوع في حرام، أو شبهة للحاجة، ويخاف في الغنى من الأشر والبطر، والبخل بحقوق المال، أو إنفاقه في إسراف، أو في باطل، أو في مفاخر[١].

وقد صرح في فتنة الغنى بذكر الشر إشارة إلى أن مضرته أكثر من مضرة غيره، أو تغليظاً على أصحابه حتى لا يغتروا فيغفلوا عن مفاسده، أو إيماء إلى أن صورته لا يكون فيها خير، بخلاف صورة الفقر فإنها قد تكون خيراً، وكل هذا غفلة عن الواقع، قال الغزالي: فتنة الغنى الحرص على جمع المال وحبه حتى يكسبه من غير حله، ويمنعه من واجبات إنفاقه وحقوقه، وفتنة الفقر يراد به الفقر المدقع الذي لا يصحبه خير ولا ورع حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة، ولا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب، ولا في أي حالة تورط، وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها، وليس فيه ما يدل على تفضيل الفقر على الغنى ولا عكسه[٢].

وقد قال الله تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٣]، [٤].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٧/٢٨- ٢٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١١/١٧٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

(٤) انظر للتوسع: الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم بن أحمد: ١٣٠- ١٣٢.

المطلب الثاني

المخرج من فتنة الضرّاء في السنة النبوية

هو الصبر على هذه الفتنة، ومما يعين عليه أمور عديدة؛ ويظهر بما يلي:

أولاً: تقوية شعور المسلم بجزائها، وثوابها، وشهود تكفيرها للسيئات، ومحوها لها، فإذا عرف العبد أن الابتلاء سبب لتكفير السيئات، وربما لزيادة الحسنات، شكر الله تعالى على ذلك، وهذا ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ:" إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه، حتى يوافي به يوم القيامة"(١)، وبهذا الإسناد، عن النبي ﷺ قال:" إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط"(٢).

ثانياً: شهود المسلم ترتُّبها عليه بذنبه، كما قال الله تعالى:﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾(٣)، فهذا عام في كل مصيبة صغيرة وكبيرة، فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار؛ الذي هو أعظم الأسباب في دفع تلك المصيبة، كما قال علي بن أبي طالب ﷺ:" ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة"(٤).

---

(١) رواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، (الحديث: ٢٣٩٦): ٤/ ٦٠١، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٢/٥٦٤.

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، (الحديث: ٢٣٩٦): ٤/ ٦٠١، و قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٢/٥٦٤.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن قيم الجوزية: ٢٧٦– ٢٧٨، أسباب حصول الفتن وسبيل النجاة منها: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: ٣١.

ثالثاً: أن يعلم المسلم أن في عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته؛ فلينظر إلى عاقبته، وحسن تأثيره، فقد روى أنس ﷺ أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" عجبت للمؤمن؛ إن الله لم يقض قضاء، إلا كان خيراً له "[١]، وكما قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، وقال الله تعالى أيضاً:﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٣].

وأن يعلم المسلم أن الله تعالى يُربّي عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج من عبوديته في جميع الأحوال، فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله تعالى على اختلاف الأحوال، وأن الإيمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية؛ هو الإيمان النافع وقت الحاجة[٤].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٢١٦٠): ١٩/٢٠٣، وقال الأرناؤوط في هامشه:" حديث صحيح، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد".

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٤) انظر للتوسع: الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم: ١٣٢- ١٣٧، معالم في فقه الفتن والأزمات: إبراهيم بن صالح الدحيم: ٤٢.

المبحث السابع
فتنة السّراء في السنة النبوية
المطلب الأول
الأحاديث الواردة في فتنة السرّاء في السنة النبوية

وإلحاقاً لفتنة الضراء، لابد أن نذكر فتنة السراء، فهما قسيمان، وقد أطلق بعض العلماء على هذه الفتنة بأنها فتنة خاصة، وهي الابتلاء بالنعم، وتقع على الإنسان في خاصة نفسه[١]، وقد خاف رسول الله ﷺ على أمته هذه الفتنة.

وهناك تشابه بين فتنة المال وفتنة السراء، ولعل الفارق بينهما أن فتنة المال تكون للأغنياء من الأمة، وهي خاصة بهم، في حين تكون فتنة السراء لأكثر أفراد الأمة عندما يفيض المال، وهي عامة، وقد تجر إلى فتنة الهرج (القتل)، ومن الأحاديث الواردة في فتنة السراء ما يأتي:

أولاً: ما رواه عمرو بن عوف الأنصاري ﷺ:"...والله لا الفقر أخشى عليكم؛ ولكن أخشىٰ عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها[٢]، وتهلككم كما أهلكتهم[٣]"[٤].

---

(١) الفتنة وموقف المسلم منها: د.محمد العقيل: ٢٢- ٢٤، رؤية شرعية للفتن والنوازل في الساحة العراقية: حسن العراقي: ٥٥- ٥٦.

(٢) الأصل فتتنافسوا فحذفت إحدى التاءين، والتنافس من المنافسة؛ وهي الرغبة في الشيء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه، وأصلها من الشيء النفيس في نوعه، يقال: نافست في الشيء منافسة ونفاسة ونفاساً، ونفس الشيء بالضم نفاسة صار مرغوباً فيه، ونفست به بالكسر بخلت، ونفست عليه؛ لم أره أهلاً لذلك، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٢٤٥/١١، لسان العرب: ابن منظور: مادة نفس.

(٣) أي لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك، قال ابن بطال: فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها، فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها، ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى؛ لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالباً، والفقير آمن من ذلك، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٢٤٥/١١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، (الحديث: ٢٩٨٨): ١١٥٢/٣، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق، (الحديث: ٢٩٦١): ٢٢٧٣/٤.

ثانياً: ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:"إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف ﷺ: نقول كما أمرنا الله، قال: أو غير ذلك: تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض"(١).

ثالثاً: تكون فتنة الضراء بالابتلاء بالغنى، والنبي ﷺ حثنا على التعوذ من فتنته، فقد روت عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقول:" اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والهرم، والمأثم، والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار، وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال..."(٢).

رابعاً: قد خاف الصحابة ﷺ لما بُسِطت عليهم الدنيا، أن يكون قد عُجِّلت لهم طيباتهم في الدنيا، فعن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم: أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أتي بطعام وكان صائماً، فقال:" قتل مصعب بن عمير ﷺ وهو خير مني، كفن في بردة إن غُطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة ﷺ وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام"(٣)، وقد قال أيضاً ﷺ:" ابتلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء؛ فصبرنا، ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر"(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق، (الحديث: ٢٩٦٢): ٢٢٧٤/٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات،باب التعوذ من المأثم والمغرم،(الحديث: ٦٠٠٧): ٢٣٤١/٥،واللفظ له،ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،(الحديث:٥٨٩): ٢٠٧٨/٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (الحديث: ٣٨١٩): ١٤٨٧/٤.

(٤) رواه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب (٣٠)، (الحديث: ٢٤٦٤): ٦٤٢/٤، وقال:" هذا حديث حسن"، قال الألباني:" صحيح الإسناد"، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٥٩٣/٢.

خامساً: حذّر النبي ﷺ من الانغماس في الشبع، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: تجشأ رجل عند النبي ﷺ، فقال:" كُفّ عنا جشاءك، فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة"[١]؛ ذلك لأنه إذا شبعت البطون سمنت الأبدان، وضعفت القلوب، وجمحت الشهوات.

سادساً: ذكرت السنة النبوية أنه عندما تخلد الأمة إلى السراء، وتنشغل به، يسلط الله تعالى عليها شرارها، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" إذا مشت أمتي بالمطيطياء[٢]، وخدمها أبناء الملوك؛ أبناء فرس والروم؛ سلط شرارها على خيارها"[٣]، وهو من المعجزات فإنهم لما فتحوا بلاد فارس والروم وأخذوا أموالهم وسبوا أولادهم سلط الله قتلة عثمان ﷺ عليه حتى قتلوه ثم سلط بني أمية على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا[٤]؛ لأن من فتنة السراء أن الغنى يحمل الإنسان على الطغيان؛ كما قال الله تعالى:﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[٥]، وأن يشتغل العبد عن طاعة ربه، ويركن إلى الدنيا، ويخلد إليها، ويدع الجهاد في سبيل الله تعالى، كما قال الله عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٦].

سابعاً: أوصى النبي ﷺ معاذاً حين ودعه لليمن بوصية عدم التوسع في نعمة السراء؛ حتى لا تقع في فتنة السراء، فقد روى معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له لما

---

(١) رواه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب (٣٧)، (الحديث: ٢٤٧٨): ٤/ ٦٤٩، واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٢/٥٩٨، ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، (الحديث: ٣٣٥٠): ٢/ ١١١١، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن ابن ماجه: ٣/١٣٧.

(٢) مشية التبختر، انظر: لسان العرب: ابن منظور: مادة مطط.

(٣) رواه الترمذي في سننه في كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب (٧٤)، (الحديث: ٢٢٦١): ٤/٥٢٦، وقال:هذا حديث غريب، وقال الألباني:صحيح،انظر:صحيح سنن الترمذي:٢/٥٠٥-٥٠٦

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: المباركفوري: ٦/٤٤٦.

(٥) سورة العلق، الآيتان: ٦- ٧.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

بعثه إلى اليمن:" إياي والتنعم؛ فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين"[١]، وليت الأمة الإسلامية تعمل بهذه الوصية.

ثامناً: أخبر النبي ﷺ أن المتخففين من الدنيا هم الناجون من عقبة الحساب يوم القيامة، فقد روى أبو الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إن بين أيديكم عقبة كؤوداً [٢]، لا ينجو فيها إلا كل مخف"[٣].

تاسعاً: أخبر ﷺ أن الله إذا أحب عبداً قلل له حظه من الدنيا، حتى لا يفتتن بزينتها، فقد روى أبو سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه؛ كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه"[٤].

عاشراً: خشية الصحابة ﷺ من الابتلاء بالنعم، فقد تورع عمر بن الخطاب ﷺ عن كثير من الطيبات من المآكل والمشارب، ومن ذلك ما رواه عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب ﷺ أدرك جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ومعه حمال لحم فقال:" ما هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قرمنا إلى اللحم، فاشتريت بدرهم لحماً،

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث:٢٢١١٨): ٤٢٩/٣٦، قال المنذري:" رواة أحمد ثقات "، انظر: الترغيب والترهيب: (الحديث:٣٢٥٢): ١٠٢/٣، قال الهيثمي:" رجاله ثقات"، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (الحديث:١٧٨٣٥): ٤٣٨/١١، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده ضعيف لضعف بقية بن الوليد

(٢) أي شاقة المصعد، صعبة المرتقى، انظر: لسان العرب: ابن منظور: ٣٧٤/٣.

(٣) رواه البزار في مسنده، (الحديث: ٤١١٨): ٥٤/١٠– ٥٥، قال المنذري:" إسناده حسن"، انظر: الترغيب والترهيب: (الحديث:٤٨٠٤): ٦٠/٤، وقال الهيثمي:" رجاله رجال الصحيح؛ غير أسد بن موسى بن مسلم الصغير وهما ثقتان"، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (الحديث: ١٧٩١١): ٤٦٤/١١.

(٤) رواه أحمد في مسنده عن محمود بن لبيد ﷺ،(الحديث:٢٣٦٢٢):٣٣/٣٩، قال الأرناؤوط في هامش المسند:حديث صحيح، وهذا إسناد جيد، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب الطب، (الحديث:٧٤٦٥): ٢٣١/٤، وصححه، قال الذهبي في تلخيصه: صحيح.

فقال عمر ﷺ: أما يريد أحدكم أن يطوي بطنه عن جاره أو ابن عمه، أين تذهب عنكم هذه الآية:﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾؟"[١]،[٢]،[٣].

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٠.

(٢) رواه مالك في الموطأ، في كتاب صفة النبي ﷺ، باب ما جاء في أكل اللحم، (الحديث: ١٦٧٤): ٢/٩٣٦.

(٣) الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم:١٣٧-١٤١، إتحاف أهل الإيمان بما يعصم من فتن هذا الزمان:عبد الله آل جار الله:٦٥.

المطلب الثاني

المخرج من فتنة السرّاء في السنة النبوية

إن مما يساعد المؤمن على اجتناب هذه الفتنة ما يلي:

أولاً: الرضا بالكفاف: وهو ما يكفي المسلم في طعامه ولباسه ومسكنه، فقد روى عبيد الله بن محصن الخطمي عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من أصبح منكم آمناً في سِربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا"(١)، وعن أبي عبد الرحمن الحبلي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله ﷺ:" ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك"(٢).

ثانياً: الشكر: لقد أمرنا الله تعالى بشكر نعمه، فقال:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(٣)، وتستمر وتدوم النعمة على المسلم بشكر الله تعالى، وقد قال الله تعالى في ذلك:﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(٤)، وفي الحديث عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها"(٥).

---

(١) رواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد، باب (٣٤)، (الحديث: ٢٣٤٦): ٥٧٤/٤، واللفظ له، وقال:" هذا حديث حسن غريب"، وقال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٥٤٢/٢- ٥٤٣، ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب القناعة، (الحديث: ٤١٤١): ١٣٨٧/٢، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح سنن ابن ماجه: ٣٥٥/٣- ٣٥٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق، في أوله، (الحديث: ٢٩٧٩): ٢٢/٤

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٥) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، (الحديث: ٢٧٣٤): ٢٠٩٥/٤.

ثالثاً: أخذ النعمة بحق: أي من حلال، وإنفاقها فيما أمر به الشارع، فعن خولة بنت قيس رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن هذا المال خضرة حلوة، من أصابه بحقه؛ بورك له فيه، ورب متخوض فيما شاءت به نفسه من مال الله ورسوله؛ ليس له يوم القيامة إلا النار"[١]،[٢].

(١) رواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال، (الحديث: ٢٣٧٤): ٥٨٧/٤، وقال:هذا حديث حسن صحيح، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٥٥٣/٢، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٧٠٥٤): ٦٠٧/٤٤، قال الأرناؤوط في هامش المسند: حديث صحيح.

(٢) الفتنة وآثارها المدمرة: د.أحمد بن إبراهيم: ١٤١- ١٤٤.

خاتمة

في الختام أحمد الله الذي مَنَّ عليَّ في إتمام بحث:" فتن الشبهات في السُّنَّة النَّبويّة"، وأخلص هنا إلى العديد من النتائج، أهمها:

١- أن التعريف المختار للفتنة هو:" ما يصيب المسلم من خير أو شر في دينه أو دنياه".

٢- أن التعريف المختار للشبهة هو:" هي الشكوك التي توقع في اشتباه الحق بالباطل؛ فيتولد عنها الحيرة والريبة".

٣- أن التعريف المختار للسنة هو:" ما روي عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو سيرة، أو صفة خُلقية، أو خَلقية".

٤- أن فتن الشبهات في السنة النبوية تتمثل بسبع فتن، هي: الابتداع والهوى، والتفرق والاختلاف المذموم، وتسلط الكافرين على المؤمنين، وتفوق الكفار في أمور الدنيا، وموالاة الكافرين، والضرّاء، والسّراء.

٥- أن فتنة الابتداع والهوى في السنة النبوية، هي من أعظم الفتن؛ لأن فيها إحداث أمور في الدين وهي ليست منه، كالتعبد لله بعبادات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ونحوها، وهي سبب للتفرق، وإلقاء العداوة والبغضاء بين أفراد الأمة؛ وبالتالي أدت إلى الفتنة؛ لأن فيها تركاً للمشروع، وفعلاً للمنهي.

٦- من أمثلة فتنة الابتداع والهوى؛ بدعة تقديم العقل على النقل، وبدعة فصل الدين عن الدولة.

٧- أن فتنة التفرق والاختلاف المذموم هي من أعظم المزالق وأخطر المصائب؛ لأنها استشرت في الأمة بصورة لا مثيل لها، وجنت منها الأمة الهوان، وتجرعت كأس الضعف والتمزق والخسران، وأصبحت مثلاً للتخلف والانحطاط.

٨- إن أهم المسائل المتعلقة في فتنة التفرق والاختلاف المذموم في السنة النبوية، هي أن الاختلاف أمر قدري محتوم لا مفر منه، وأن اعتقاد حتمية الاختلاف لا يعني الاستسلام له ولا الاسترسال.

٩- أن أسباب فتنة التفرق والاختلاف المذموم في السنة النبوية هي ما يلي؛ الجهل بالشرع، والهوى واتباع الظن، والحرص على الزعامة والرئاسة والقيادة والمنصب والجاه، وسوء الظن بالآخرين، والتعصب الأعمى لعالم أو مذهب أو جماعة من الناس، والتصدر قبل كمال الأهلية، ونحوها.

١٠- أن المخرج من فتنة التفرق والاختلاف المذموم في السنة النبوية، يكمن في الإخلاص والتجرد من الهوى، ورد الأمر عند الاختلاف للقرآن الكريم والسنة النبوية، والتزام الحوار بالتي أحسن، وإحسان الظن بالمخالف، ومراعاة الإنصاف في تقويم المخالف، والإنصاف في مراعاة الحكمة في مخاطبة المخالف، والإنصاف في مراعاة الحكمة في مخاطبة المخالف، ونحوها.

١١- أن من مظاهر فتنة تسلط الكافرين على المؤمنين في السنة النبوية، الإيذاء، والقتل، والاستضعاف، والتحكّم في موارد البلاد الإسلامية ومقدراتها، وأحوالها، وشؤونها السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، ونحوها.

١٢- أن المخرج من فتنة تسلط الكافرين على المسلمين في السنة النبوية؛ هو رفع لواء الجهاد في سبيل الله تعالى، بشتى أنواعه؛ حيث يشمل الجهاد بالقتال، واللسان، والعلم، فكما يكون بالسيف والسنان، قد يكون الجهاد فكرياً، أو تربوياً، أو اجتماعياً، أو إعلامياً، أو اقتصادياً، أو سياسياً، ونحو ذلك.

١٣- أن فتنة تفوق الكافرين في أمور الدنيا؛ هي من الفتن المعاصرة؛ حيث نرى بعض المسلمين مفتونين بما وصل إليه الغرب من تحضر ورقي ومدنية، متناسين كفرهم وشركهم ووقوعهم في معصية الله تعالى، وهذا من ضعف الإيمان بالله عز وجل، ونسيان أن هذا من باب تعجيل طيبات الكفار بالدنيا، واستدراجاً لهم ليصلوا إلى هلاكهم.

١٤- المخرج من فتنة تفوق الكافرين في أمور الدنيا في السنة النبوية؛ هي تقوية استشعار المسلمين بالعزة الإيمانية التي تقودهم للاتحاد، وتقوية إيمان المسلمين، وأخذ المسلمين بالأسباب المادية لسبقهم.

١٥- أن فتنة موالاة الكافرين في السنة النبوية، هي من أعظم الفتن التي ابتلي بها بعض المسلمين اليوم، وقد حرمها الإسلام.

١٦- تتجلى مظاهر فتنة موالاة الكافرين وأحكامها في السنة النبوية بثلاثة أنواع؛ فمنها ما هو كفر وردة عن الإسلام؛ وذلك مثل: التولي المطلق، ومودتهم لأجل دينهم وسلوكهم، والتشبه بهم إعجاباً، واستحساناً في قضايا التوحيد والعبادات، وكذلك التشبه المطلق بهم، ومنها ما هو من كبائر الذنوب؛ وذلك مثل: مداهنتهم والتذلل لهم، والمبالغة في تعظيمهم، والدخول في سلطانهم بدون حاجة، ومشاركتهم في أعيادهم الدينية، أو حضور إقامتها؛ على سبيل المجاملة لا الاعتقاد، والاستغفار لهم، والترحم عليهم، والاستعانة بهم، والثقة بهم، وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين، واتخاذهم بطانة ومستشارين، ومنها ما هو من صغائر الذنوب وهي محرمة: وذلك مثل: مدحهم، والثناء عليهم بدون مسوغ شرعي بغض النظر عن دينهم، والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بمهاراتهم، دون النظر إلى عقائدهم الباطلة، ودينهم الفاسد، والتأريخ بتأريخهم، والتسمي بأسمائهم، والتشبه بهم في الملبس والكلام، والعادات، وما شابه ذلك.

١٧- أن المخرج من فتنة موالاة الكافرين؛ هو بث المفهوم الصحيح لمعنى الولاء والبراء في الأمة الإسلامية، وتقوية الإيمان في نفوس الأمة الإسلامية.

١٨- أن فتنة الضرّاء فتنة حسية؛ تتمثل في الإرهاب والتعذيب، فقد يعجز أعداء الإسلام من الطواغيت أن يصرفوا المؤمنين عن التمسك بدينهم، وتغيير مواقفهم بالتهديد والسخرية، فيتبعون وسيلة التعذيب الجسماني.

١٩- أن المخرج من فتنة الضرّاء؛ هو الصبر الذي يظهر بما يلي؛ تقوية شعور المسلم بجزائها، وثوابها، وشهود تكفيرها للسيئات، ومحوها لها، وشهود المسلم ترتُّبها عليه بذنبه، وأن يعلم المسلم أن في عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصل بدونه.

٢٠- أن فتنة السرّاء هي الابتلاء بالنعم، وتقع على الإنسان في خاصة نفسه.

٢١- أن المخرج من فتنة السرّاء هو الرضا بالكفاف، والشكر، وأخذ النعمة بحق.

توصيات

١- العمل على نشر ثقافة الحذر من الفتن، والوقاية منها، وتناولها بالدراسة في مناهج التعليم العام، ومفردات بعض المقررات الجامعية، وفي قضايا البحث العلمي بمؤسسات التعليم، لما لها من أثر على حياة المسلم خاصة، والأمة الإسلامية عامة.

٢- دعوة الجامعات وأساتذتها كل حسب تخصصه لدراسة الفتن من النواحي الدينية، والتربوية، والنفسية، والاجتماعية، والسياسية، ونحوها، وتوجيه الإرشادات للوقاية منها.

٣- تبني مؤسسات الإعلام برامج التحذير والوقاية من الفتن في القنوات فضائية، وكذلك في المجلات والصحف المحلية ومواقع شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

٤- إنشاء كراسي علمية في الجامعات متخصصة في التحذير من الفتن، وسبل الوقاية منها.

٥- تأسيس مواقع إلكترونية على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، متخصصة في التحذير والوقاية من الفتن.

وأخيراً أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يجعل عملي هذا صالحاً، لوجهه خالصاً، وأن يثيبني عليه، وينفع به المسلمين، وأن يجعلني من المتميزين بالخيرات في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، د.عبد المجيد محمود عبد المجيد، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣- الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر وبلاد الشام، د.محمد عبد الرزاق أسود، ط١، (١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، دار الكلم الطيب، دمشق.

٤- إتحاف أهل الإيمان بما يعصم من فتن هذا الزمان، عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، دار الصميعي، الرياض.

٥- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود بن عبد الله التويجري، ط١، (١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م)، مطبعة الرياض، الرياض.

٦- أثر آراء الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر، عبد التواب محمد عثمان، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، دار المحدثين، القاهرة، مكتبة الأصالة والتراث، الشارقة.

٧- الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة، أبو بكر جابر الجزائري، ط١، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٨- أحداث وأحاديث فتنة الهرج: دراسة لفتنة القتال (الهرج) في تاريخ المسلمين، د.عبد العزيز صغير دخان، ط١، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، مكتبة الصحابة، الشارقة، مكتبة التابعين، القاهرة.

٩- الأدب النبوي: محمد عبد العزيز الخولي، ط٤، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، دار المعرفة، بيروت.

١٠-أسباب حصول الفتن وسبيل النجاة منها، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٩)، (ربيع الأول، ١٤٢٤هـ)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

١١-الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط١، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢-أشراط الساعة، يوسف بن عبد الله الوابل، ط٣، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، دار ابن الجوزي، الدمام.

١٣-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت.

١٤-الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

١٥-التحذيرات من الفتن العاصفات وتمييز ما اشتهر من الروايات، علي بن حسن بن علي الحلبي الأثري، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، دار الأصالة، الزرقاء، الأردن.

١٦-تحفة الأحوذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧-ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، ترتيب: محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨-تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: محمود حسن، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، دار الفكر.

١٩-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط٢، (١٤١٨هـ، ١٩٩٨م)، دار الفكر المعاصر، دمشق.

٢٠-التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الإسلام، د.الأمين محمد محمود الجنكي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٨٧)، (ربيع الأول، ١٤٣٠هـ)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٢١-توحيد المشاعر: علاقة ممتدة، خالد أبو الفتوح، مجلة البيان، العدد (١٤٩)، (المحرم، ١٤٢١هـ)، المنتدى الإسلامي، الرياض.

٢٢-التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، ط١، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، عالم الكتب، القاهرة.

٢٣-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٤-جامع الأصول في أحاديث الرسول، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، دار الفكر، دمشق.

٢٥-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، (١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٦-حقيقة الإيمان، د.محمد أمحزون، مجلة البيان، العدد (١٠٤)، (ربيع الآخر، ١٤١٧هـ)، المنتدى الإسلامي، الرياض.

٢٧- حوارات رسول الله ﷺ ودلالاتها، د.محمد عبد الرزاق أسود، بحث منشور عام (١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م)، الجزء (١)، العدد (١٣)، مجلة البيان العلمية المحكمة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، قنا، مصر.

٢٨-رفع الذل والصغار عن المفتونين بخُلُق الكفار، عبد المالك بن أحمد رمضاني، ط٢، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م)، مطبعة الحميضي، الرياض.

٢٩-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠-رؤية شرعية للفتن والنوازل في الساحة العراقية، حسن العراقي، ط١، (١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، مكتبة دار النصيحة، المدينة المنورة، دار المدينة النبوية، مصر.

٣١-زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٢-الزهد، أبو داود السجستاني، تحقيق: ياسر ابراهيم، غنيم عباس غنيم، ط١، (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، دار المشكاة، القاهرة.

٣٣- درء الفتنة عن أهل السنة، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط٢، دار العاصمة، الرياض.

٣٤- سبل السلام، محمد إسماعيل الصنعاني، دار الحديث، القاهرة.

٣٥- سبل مواجهة الفتن، عبد الحكيم بن محمد بلال، مجلة البيان، العدد (١٦٨)، (شعبان، ١٤٢٢هـ)، المنتدى الإسلامي، الرياض.

٣٦-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٧-السنة قبل التدوين، د.محمد عجاج الخطيب، ط٢، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، مكتبة وهبة، القاهرة.

٣٨-السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدارقطني، عبد الفتاح أبو غدة، ط١، (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، دار القلم، دمشق.

٣٩-السنة والبدعة، محمد الخضر حسين، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، دار نهضة مصر، القاهرة.

٤٠-السنة والبدعة، د.يوسف القرضاوي، ط١، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، مكتبة وهبة، القاهرة.

٤١-سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٤٢-سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق.

٤٣-سنن محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٤-سنن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ط١، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٥-سنن أحمد بن شعيب النسائي، (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

٤٦-سنن أحمد بن شعيب النسائي الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، دار الكتب العلمية، بيروت،

٤٧-سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة، مصطفى بن أحمد بن سلطان عسيري، ط١، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، دار القبس، الرياض.

٤٨-سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٩-شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط٢، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض.

٥٠-شذرات من علوم السنة، د.محمد الأحمدي أبو النور، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، نهضة مصر، القاهرة.

٥١-شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د.عبد العلي عبد الحميد حامد، ط١، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، دار الرشد، الرياض.

٥٢-صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة، مصطفى أبو النصر الشلبي، ط١، (١٤١٣هـ، ١٩٩٢م)، مكتبة السوادي، جدة.

٥٣-صحيح محمد بن حبان التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٤-صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٥-صحيح محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، ط٣، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، دار ابن كثير، دار اليمامة، بيروت.

٥٦-صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٥٧-صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٥٨-صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٥٩-صحيح مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٠-صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة.

٦١-ضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٦٢-ضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٦٣-طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، (١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م)، دار السلفية، القاهرة.

٦٤-علامات الساعة من منظور عصري، د.محمد طعمة القضاة، ط١، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، جامعة جرش، الأردن.

٦٥-علوم الحديث ومصطلحه، د.صبحي الصالح، ط١٩، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار العلم للملايين، بيروت.

٦٦-عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط٢،ر(١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٧-غريب الحديث، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، (١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٦٨-غريب الحديث، عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، تحقيق: د.عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٩-غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: د.عبد الله الجبوري، ط١، (١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م)، مطبعة العاني، بغداد.

٧٠-فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٧١-الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: يوسف النبهاني، ط١، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، دار الفكر، بيروت.

٧٢-فتنة الفرق والأهواء وموقف المسلم منها في ضوء السنة النبوية الشريفة، د.همام عبد الرحيم سعيد، المجلد (١١)، العدد (٣)، ١٩٨٤م، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان.

٧٣-فتنة الفرق والأهواء وموقف المسلم منها في ضوء السنة النبوية الشريفة، د.همام عبد الرحيم سعيد، العدد (٧)، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، مجلة كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، المنوفية.

٧٤- الفتن في الآثار والسنن، جزّاع الشمّري، ط١، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، مكتبة الصحوة الإسلامية، حولي، الكويت.

٧٥- الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة، د.عفاف عبد الغفور حميد، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، دار عمار، عمّان.

٧٦- الفتن وموقف المسلم منها، رؤية شرعية تأصيلية، د.علي بن سعد بن صالح الضويحي، ط١، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، دار ابن الجوزي، الدمام.

٧٧- الفتنة بين الصحابة ﷺ، قراءة جديدة لاستخراج الحق من بين ركام الباطل، محمد حسان، ط١، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، مكتبة فياض، المنصورة، مصر.

٧٨- الفتنة وآثارها المدمرة، موقف المسلم منها وطرق التثبت فيها، د.أحمد بن إبراهيم بن أحمد، ط١، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، دار لينا، دمنهور، مكة المكرمة.

٧٩- الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، ط١، (١٤١٧هـ، ١٩٩٦م)، دار القاسم، الرياض.

٨٠- الفتنة وموقف المسلم منها، د.محمد عبد الوهاب العقيل، ط١، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، دار أضواء السلف، الرياض.

٨١- فقه التعامل مع الفتن، زين العابدين بن غرم الله الغامدي، ط١، (١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)، دار الهدي النبوي، المنصورة، دار الفضيلة، الرياض.

٨٢- الفقه في الدين عصمة من الفتن، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط١، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.

٨٣- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي أبو جيب، ط٢، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، دار الفكر، دمشق.

٨٤- القتال في الفتنة، دراسة تأصيلية عقدية، عبد الله بن عبد العزيز عبد الله السويد، ط١، (١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، دار الهدي النبوي، المنصورة، مصر، ودار الفضيلة، الرياض.

٨٥- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط٢، مكتبة ابن تيمية.

٨٦- الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٧- كلمة هادية في البدعة وأحكامها، وهبي سليمان غاوجي الألباني، ط١، (١٤١٢، ١٩٩١)، دار الإمام مسلم: بيروت.

٨٨- لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، دار الفكر، بيروت.

٨٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري، ط١، دار صادر، بيروت.

٩٠- مختارات من أحاديث الفتن، دراسة تاريخية، محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشباني، ط٢، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، الرياض.

٩١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي محمد القاري، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، دار الفكر، بيروت.

٩٢- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،ومعه: تعليقات الذهبي في كتابه التلخيص، ط١، (١٤١١هـ،١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٣- مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط٢، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٤- مسند أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: د.محفوظ الرحمن زين الله، ط١، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٩٥- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى اليحصبي السبتي، (ت: ٥٤٤هـ)، دار التراث، القاهرة.

٩٦- المصرف السابع للزكاة:" وفي سبيل الله" وتطبيقاته المعاصرة: دراسة قرآنية حديثية فقهية مقارنة، د.محمد عبد الرزاق أسود، ط١، (١٤٣٢هـ، ٢٠١١م)، دار طيبة، دمشق.

٩٧- معالم في فقه الفتن والأزمات، إبراهيم بن صالح الدحيم، مجلة البيان، العدد (٢٢٤)، (ربيع الآخر، ١٤٢٧هـ)، المنتدى الإسلامي، الرياض.

٩٨-المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الحرمين، القاهرة.

٩٩-معجم علوم الحديث النبوي، د.عبد الرحمن بن إبراهيم الخميسي، مكتبة العبيكان، الرياض.

١٠٠- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م)، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١٠١- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة.

١٠٢- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، اتحاد الكتاب العرب.

١٠٣- المغازي، محمد بن عمر المدني الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، دار الأعلمي، بيروت.

١٠٤- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي، مطبوع بهامش إحياء علوم الدين للغزالي، ط١، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، دار ابن حزم، بيروت.

١٠٥- مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة، د.ناصر بن عبد الكريم العقل، ط٢، (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، دار الصفوة، القاهرة.

١٠٦- مفهوم البدعة بين الضيق والسعة، محمد سامر النص، ط١،(١٤٢٢هـ،٢٠٠٢م)، دار التوفيق، دمشق.

١٠٧- من مفاهيم عقيدة السلف الصالح، الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني، ط١٢، (١٤٢٧هـ، ٢٠٠٧م)، دار طيبة، الرياض.

١٠٨- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،تحقيق: د.محمد رشاد سالم، ط١، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، مؤسسة قرطبة.

١٠٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، ط٢، (١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١٠- منهج النقد في علوم الحديث، د.نور الدين عتر، ط٣، (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، دار الفكر، دمشق.

١١١- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الصفوة، الغردقة.

١١٢- الموطأ، مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الإمارات العربية المتحدة.

١١٣- نقد دعوى وقف العمل بنصوص الشريعة الإسلامية، دراسة تحليلية، د.محمد عبد الرزاق أسود، (١٤٣٢هـ، ٢٠١١م)، دار طيبة، دمشق.

١١٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، المكتبة العلمية، بيروت.

١١٥-شرح مسعود بن عمر التفتازاني على الأحاديث الأربعين النووية، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط١، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٦-وتلك الأيام نداولها بين الناس، مجلة البيان، العدد (١٩٥)، (ذو القعدة، ١٤٢٤هـ)، المنتدى الإسلامي، الرياض.

١١٧-وحدة المسلمين في القرآن الكريم، إحدى قيم النهضة الإسلامية، د.محمد عبد الرزاق أسود، بحث مقدم للمؤتمر الدولي النهضة والقرآن الكريم، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان.

١١٨-الولاء والبراء في الإسلام، د. صالح الفوزان، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٥)، (رجب، ١٤٠٩هـ)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.